

حَدَّثَنَا الْأَرْوَاحُ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاجِ

للإمام الجليل الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف

بأبي قسيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١



قدم له وأشرف على طبعه

على السيد صبح المديني

عفا الله عنه

مطبعة المديني

٦٨ شارع العباسية - القاهرة

حَدِيثُ الْأَوَّلِ

إِلَى بِلَادِ الْأَفْسَاحِ

لِلْإِمَامِ ابْنِ قَتِيمٍ الْجُوزِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ، ويسرهم للأعمال الصالحة
الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها
ذلا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يوجد لهم وحفها بالسكره ،
وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم
القدوم عليه ، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا ، وأودعها مالا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بهين البصيرة التى
هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر ،
على لسان خير البشر ، وكلهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا .

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم
سدى ، ولم يغفلهم هملا ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهياهم لخطب جسيم ، وعمر لهم
دارين ، فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبع سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب
دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا .

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير
من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى
كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه
عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا . فهذا
عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن

أُمته ، ومن لاغنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخبرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام داعياً ، وللخليفة هادياً ، ولكتابه نالياً ، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، أرسله على حين فطرة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتمزيه وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أنوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الدلة والصغار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سرّاً وجهاراً ، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهاراً ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألقت به القلوب بعد تفرقها وشتانها ، فأشرق وجه الدهر حسناً ، وأصبح الظلام ضياءً ، واهتدى كل حيران ، فلما كمل الله به دينه وآتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد في الله حق جهاده ، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختر لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والحل الأرفع الأسفى ، وقد ترك أُمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم) (١)

فصلى الله وملائكته وأنبيأؤه ورسوله وعباده المؤمنين عليه كما وحده الله وعبده وعرفنا به ودعا إليه .

أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم ، عرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً ، وقال ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة ، وإن خيرتنا فامعافيتك نريد لا نبني بها بدلاً ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا بحبة الأناعام السائمة ، لا ينظرون في معرفة موجدكم وحقه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعب إلى دار القرار ، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعي العقل ، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة ، والحدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل ، فغمهم في لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بأخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً : (يعلمون) ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (١) ، (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (٢) .

والمعجب كل المعجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه ، فطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدري إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لحراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جنائياته ، وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال : قد أنبأنا أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو المذاب الأليم .

(١) سورة الروم آية ٧ .

(٢) سورة الحشر آية ١٩ .

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم ، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم العن ببيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، في أبد لا يزول ، ولا ينفد بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار في المنام ، مشوب بالنقص ، لمزوج بالنقص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وإن سر يوما أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متالف ، فيأعجبا من سفيه في صورة حلیم ، ومعتوه في مسالخ عاقل ، أثر الحظ الفاني الحسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات ، والبلبات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكارا عربا أربابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيأت الأخلاق مسالجات أو متخذات أخذان ، وحورا مقصورات في الخيام بنحیثات مسيات بين الأنام ، وأنهارا من خمر قنة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل منسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يا أهل الجنة : إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحبوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظننوا ، وتشبوا فلا تنهموا بفناء المنين .

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لنذكرك فليدني اليوم

وإنما يظهر العن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائنه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا ، وسبق الجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم

من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ،
 وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرأ عين لم يقع على مثلها بصر ،
 ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعل أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له في
 حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملسكاً كبيراً لا تفتريه
 الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار السكير المتعال .

فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى
 الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكثون ، وبالخور العين يتمتعون ، وبأنواع
 الثمار يتفكّهون ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من
 معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ،
 وحور عين كأمثال اللؤلؤ المسكون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم
 بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون ،
 تالله لقد نودى عليها في سوق الكسادي ، فما قلب ولا استام إلا أفراد من العباد ،
 فواجباً لها كيف نام طالها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ! وكيف طاب العيش
 في هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قر لهشتاق القرار ، دون معانقة أبنائها ،
 وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت
 عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شيء تموضت عنها نفوس المعرضين ؟

شعر في وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها	سوى كفنها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة	وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فله ما في حشوها من مسرة	وأصناف لذات بها يتمتع
ولله برد العيش بين خيامها	وروضاتها والثمر في الروض ييسم
ولله وادها الذي هو موعد المز	يد لوفهم الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي بهم صباية	حجب يرى أن الصباية مختم
ولله أفراح المحبين عندما	يخاطبهم من فوقهم ويسلم

والله أبصار ترى الله جهرة
 فيانظرة أهدت إلى الوجه نضرة
 والله كم من خيرة إن تبسمت
 فيالذلة الأبصار إن هي أقبلت
 ويا خجلة الفصن الرطيب إذا انثنت
 فإن كنت ذا قلب عليل بحبها
 ولا سيما في لثمتها عند ضمها
 تراه إذا أبدت له حسن وجهها
 تفككه منها العين عند اجتلائها
 عنافيد من كرم وتفاح جنة
 وللورد ما قد ألبسته خدودها
 تقسم منها الحسن في جمع واحد
 لها فرق شق من الحسن أجمعت
 تذكر بالرحمن من هو ناظر
 إذا قابلت جيش المهوم بوجهها
 فياخاطب الحسنة إن كنت راغبا
 ولما جرى ماء الشباب بنصفها
 وكن مبغضا للخائنات لحبها
 وكن أيمنا بمن سواها فإنها
 وصم يومك الأدنى لملك في غد
 وأقدم ولا تقنع بعيش منقص
 وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها
 فخي على جنات عدن فإنها
 ولكنتنا سبي العدو فهل ترى

فلا الضيم ينشأها ولا هي تسأم
 أمن بعدها يساو الحب المقيم
 أضاء لها نور من الفجر أعظم
 وبالذلة الاسماع حين تكلم
 ويا خجلة الفجرين حين تبسم
 فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
 وقد صار منها تحت جديك معصم
 يلد به قبل الوصال وينعم
 فواكه شق طلعها ليس يعدم
 ورماني أغصان به القلب مغرم
 وللخمر ما قد ضمه الريق والقم
 فيا عجبا من واحد يتقسم
 بحملتها إن السلو محرم
 فينطق بالتسبيح لا يتعالم
 تولى على أعقابها الجيش يهرم
 فهذا زمان المهر فهو المقدم
 تيقن حقاً أنه ليس يهرم
 فتحظى بها من دونهن وتنعم
 لثلك في جنات عدن تأيم
 تفوز بعيد الفطر والناس صوم
 فما فاز بالذات من ليس يقدم
 ولم يك فيها منزل لك يعلم
 منازلنا الأولى وفيها الخيم
 نمود إلى أوطاننا ونسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وأى اغتراب فوق غربتنا التي
وحى على السوق الذي فيه يلتقى المحمد
فما شئت خذ منه بلا تمن له
وحى على يوم المزيد الذي به
وحى على واد هنالك أفيح
منابر من نور هناك وفضة
وكشبان مسك قد جعلن مقاعدا
فبينا هم في عيشهم وسرورهم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له
تجلى لهم رب السموات جهرة
سلام عليكم يسمعون جميعهم
يقول سلوني ما اشتيتيم فكل ما
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا
فيعطيههم هذا ويشهد جمعهم
فيا بائعا هذا يبخس معجل
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وشطت به أوطانه فهو مغرم
لها أخت الأعداء فينا تحكم
بون ذاك السوق للقوم يعلم
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
زيارة رب العرش فالיום موسم
وتربه من إذفر المسك أعظم
ومن خالص القيان لا تتقصم
لن دون أصحاب المنابر يعلم
وأزاقهم تجرى عليهم وتقسم
بأقطارها الجنات لا يتوهم
فيضحك فوق العرش ثم يكلم
بآذانهم تسليمه إذ يسلم
تريدون عندي أنى أنا أرحم
فأنت الذي تولى الجميل وترحم
عليه تعالى الله فالله أكرم
كأنك لا تدري ، بلى سوف تعلم
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فصل

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو المحزون
سلاوة ، وللمشتاق إلى تلك المرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب ،
وحداد للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، مجمع لقارئه ، مشوق للناظر فيه ،
لا يسأله الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ،
على ما لعل المجتهد في الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الكتب مع تضمينه

لجملة كثيرة من الاحاديث الرفوعات ، والآثار للوقوفات ، والأسرار المودعة في كثير من الآيات ، والنسكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الاسماء والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث اللهم العليات ، إلى العيش الهني في تلك الرفات .

وسميته « حادى الأرواح ، إلى بلاد الأفراح » فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه والله يعلم ما قصدت ، وما يحجمه وتأليفه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبد وقابه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وكان جل المقصود منه بشاره أهل السنة ، بما أعد الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحزبه . لا تأخذهم في نصره سنته ملامة اللوام ؛ ولا يتركون ما صح عنه لقول أحدهم الأنام ؛ والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً ، أو بحثاً جدلياً ، أو خيلاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك ، فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مسدود .

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه ، ولك صفوه ، وعليه كدره . وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك ، وبنات أفسكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفوؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان . وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد اللتان ، وما كان من خطأ فمضى ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله .

وقد قسمت الكتاب سبعين باباً :

الباب الأول

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستنديين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبئت نابتة من القدرية وللعترلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت : بل الله يفتشها يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فإنهم تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها .

قالوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها الولن الأظعمة والآلات والمصالح وعطاها من الناس ولم يسكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن مافله واقعاً على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه ، !! فحجروا على الرب تعالى بقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة !! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالفهم فيها ، والترموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم : أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المذاهبن» :

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى)^(١) ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : « خلقت يدي » وكما قال : (بل يدها مبسوطتان) ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : (تجري بأعيننا) وأن له وجهاً كما قال : (ويبق وجه ربك ذو الجلال والإكرام)^(٢) وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن الله علما كما قال : (أنزله بعلومه) وكما قال : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلومه)^(٣) وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تمتد المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال : (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم أشد منهم قوة)^(٤) ، وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)^(٥) ، وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وقالوا : إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هدامهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هدامهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة الرحمن آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ١١

(٤) سورة فصلت آية ١٥

(٥) سورة الإنسان آية ٣٠

الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين . كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويشتون الحاجة إلى الله في كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظ ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقولون : إن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراها المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (١) ، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كمنحوا الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر .

وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كما جاء في الحديث . والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقولون بأن الله مقلب القلوب ، ويقولون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبمذاب القبر وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدي الله تعالى حق ، ويقولون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون : أسماء الله هي الله تعالى ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر

بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء . ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينكرون الجدل والمراءى في الدين ، والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقولون كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرش بالشرك وإن كان مريداً له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم من يرمهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدين المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ » ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) (١) .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ؛ ويقرون أن الله تعالى يجي يوم القيامة كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٢) وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (٣) .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ، ويشبتون المسح على الحفين سنة ، ويرونه في الحضر والسفر ، ويشبتون فرض الجهاد للمشركين منذ

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٢ .

(٣) سورة ق آية ١٦ .

بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج والرؤيا في المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقررون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أم حراما ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمروهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله تعالى والانتفاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدین والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفجر والكبر والازدراء على الناس والمعجب .

ويرون مجانبية كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك النية والهمة والسعاية وتفقد الماء كل والشارب ، فهذه جملة ما يأمر الله به ويستعملونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب . وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث : أن الجنة والنار مخلوقتان

وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)^(١) ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ، ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : « ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشها ألوان لا أدرى ما هي ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالنضادة والمشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة » .

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث بطوله ، وفيه : فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها طيبها » وذكر الحديث .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم . قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فيراها جميعاً » .

وفي صحيح أبي عوانة الأسفرايني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح : « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار ، فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبذلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كما أرجع إلى أهلي ومالي ، فيقال : اسكن » .

وفي مسند البرار وغيره من حديث أبي سعيد قال : « شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقدمه فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم - فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولون له : صدقت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون : هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذا آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له : اسكن » وذكر الحديث .

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : « خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الحديث إلى أن قالت : ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيته أخذ قطعاً من الجنة حين رأيتموني أقدم ، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت » .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال : « انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث وفيه فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » فقالوا : يا رسول الله رأيته تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيته تناولت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لا كلمت رأيته تناولت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لا كلمت (٢ - حادي الأرواح)

منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : بسم يارسول الله ؟ قال بكفروهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط .

وفي صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الحسوف قال : « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجننكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت أى رب وأنا معهم . فإذا امرأة حسبت أنه قال : تخدشها هرة . قالت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل . »

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال : « عرضت على كل شيء تولجونه ، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه ، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تمذب في هرة لها » وذكر الحديث .

وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث : « ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه ، لقد جئء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار ، وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جئء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامى ، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها فتنظروا إليّ ، ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه . »

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة : « والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدي

تلتماطيت من قطوفها ، ولقد أذنبت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تنفثاكم»
 وذكروا الحديث .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال : يا أيها الناس ، إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ، وأيم الله الذي نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبسكنتم كثيرا ، قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار » .

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما سمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يجمعها الله إلى جسده يوم القيامة » وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ، ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة أو شجر الجنة » رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

وسياتى في آخر هذا الكتاب في الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين «جنة قبل يوم القيامة ، تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك .

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله تعالى الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالسكره ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال : فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها فإذا هى مركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب

فَنظَرَ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » قَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَمِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ مَا لَهَا إِنْمَا يَدْخُلُهَا ضَعْفَاءُ الدَّاسِ وَسَقَطَتُهُمْ ؟ وَقَالَتِ النَّارُ : يَا رَبِّ مَا لَهَا يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ؟ فَقَالَ : أَنْتِ رَحِمْتِ أَصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْأَاءِ ، وَأَنْتِ عَذَابِي أَصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْأَاءِ ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَاؤُهَا » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ : يَا رَبِّ أَكُلُ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأُذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ : نَفْسُ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسُ فِي الصَّيْفِ » .

وَرَوَى اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ يُسْأَلَانِ ، تَقُولُ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ قَدْ طَابَ ثَمَرِي ، وَاطْرَدَتْ أَنْهَارِي ، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَوْلِيَائِي ، فَعَجَّلْ إِلَيَّ بِأَهْلِي . وَتَقُولُ النَّارُ : اشْتَدَّ حَرِّي ، وَبَعْدَ قَمَرِي ، وَعَظُمَ جَهْرِي ، فَعَجَّلْ عَلَيَّ بِأَهْلِي » .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ وَإِذَا بَنُورٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدَّرِّ الْمَجُوفِ . قَالَ : قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا السَّكُورُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَضَرْبُ الْمَلِكِ يَبْدُو إِذَا طَيَّنَهُ الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ » .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا وَدَارًا فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : فَلَوْلَا غَيْرُكَ

يا أبا حفص لدخلته ، قال : فبكي عمر ، وقال : أو يفار عليك يا رسول الله ؟
وسياتى حديث بلال وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما دخلت الجنة إلا سمعت
خشخشتك بين يدي » وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب : أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن
زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم صلاة الصبح ، ثم مد يده ثم أخرها ، فلما سلم قيل له : يا رسول الله لقد
صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها ، قال : إني رأيت الجنة ، فرأيت فيها دالية
قطوفها دانية جها كالديباء ، فأردت أن أتناول منها ، فأوحى إليها أن استأخري
فاستأخرت ، ثم رأيت النار فيما بيني وبينكم حتى لقد رأيت ظلي وظلكم ، فأومأت
إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أقرهم ، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا ،
وجاهدت وجاهدوا ، فلم أر لي عليكم فضلاً إلا بالنبوة » .

فإن قيل : فما منكم من الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة
وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها في غاية الظهور ؟

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الظهور ، فهو في غاية
الغموض لاختلاف الناس في الجنة ، التي أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التي
يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة في الأرض في شرفها ؟ ونحن نذكر
من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتج به كل فريق على قولهم ، وما رد به الفريق
الآخر عليهم بحول الله وقوته .

الباب الثاني

في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها

دل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سميد في تفسيره : وأما قوله تعالى لآدم : (أسكن أنت وزوجك الجنة) ^(١) فقالت طائفة : أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة : وقال آخرون : هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال : وهذا قول تسكت الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به . وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره : واختلف الناس في الجنة التي أسكنها على قولين : أحدهما : أنها جنة الخلد . الثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لها وجعلها دار ابتلاء ، وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء ، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها في السماء ، لأنه أهبطها منها . وهذا قول الحسن .

الثاني : أنها في الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نها عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور : واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في السماء ، فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم الباقى وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة في الأرض ، وحمل الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله : (أهبطوا مصرأ) واحتجوا عليه بوجوه .

القول الثاني ، وهو قول الجبائي : أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة :

والقول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب .
وقال أبو القاسم الرغب في تفسيره : واختلاف في الجنة التي أسكنها آدم ، فقال
بعض المتكلمين : كان بستاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى ،
وذكر بعض الاستدلال على القولين .

ومن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ،
ثم قال : والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو ، وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو
قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف
في المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال :

والقول الرابع : أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك
القطع . قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول
أبى حنيفة وأصحابه قال : وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام ،
بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأمانى ، ما أتوا بحجة من كتاب
ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاداً
مشهوراً .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله ، قالوا : إن جنة آدم ليست جنة
الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحد من الشاذين
بل بين رؤساء المخالفين . وإنما قلت هذا ليعلم أبى أنصر مذهب أبى حنيفة ،
وإنما أنصر ما قام لى عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكي يقول
في تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة مخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام
في هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عز وجل : (إن لك ألا تجوع
فيها ولا تمرى)^(١) قال : يعنى في الأرض . وابن نافع وإبن عيينة إمام ، وهم
لا يأتوننا بمثلها ولا من يضاد قوله قولهما .

وهذا ابن قتيبة ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه ، قال :

ثم تركهما ، وقال : أمروا وأكثروا ، واملؤا الأرض ، وتسلبوا على أنوان البحور ، وطير السماء ، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها ، فأخبر أن في الأرض خلقه وفيها أمره ، ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار : سيمحون وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ثم ذكر الحية فقال : وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمرأة : إنكما لاتموتان إن أكتما من هذه الشجرة .

ثم قال بعد كلام : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التي منها أخذ ، ثم قال : قال وهب : وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند . قال : واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به وادياً من أودية اليمن في شرقي عدن فسكن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله : اهبطوا ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيد : فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق في الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بـعدن ، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت في الأرض لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، فاعتبروا يا أولى الألباب . وأخبر أن الحية التي كلت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل : من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون : إن الجنة لم تسكن في الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن في شرقي أرض الهند . وهذه الأخبار التي حكى ابن قتبية ، إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهي من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بـعدن ، ثم أكد ذلك بأن قال : التي لأربعة الأنهار ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر ، وقال ابن قتبية عن ابن منبه عن أبي هريرة قال : واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التي كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو في الأرض ، فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتبية حقا ، يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد في الأرض .

قال : ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنة الخلد ، لخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكي الخلاف في هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ، ونبين ما لهم وما عليهم .

الباب الثالث

في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة قالوا : قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً .

قالوا : وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربيع عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة : فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أيكم ؟ » وذكر الحديث .

قالوا : وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها .

وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أيكم ؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا : وقد قال تعالى في سورة البقرة : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (١) .

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين : أحدهما : من لفظة اهبطوا ، فإنه نزول من علو إلى سفل . والثاني : ولهم في الأرض مستقر عقب قوله : اهبطوا . فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، ثم أكد هذا بقوله في سورة الاعراف : (قال فيها نحيون وفيها تمتون ، ومنها نخرجون) ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

قالوا : وقد وصف لاسبغانه جنة آدم بصفات إلا في تكون جنة الخلد فقال : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى) (١) وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً ، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ ، والعرى والضحى ، فإن الجوع ذل الباطن ، والعرى ذل الظاهر ، والظمأ حر الباطن ، والضحى حر الظاهر . فنفي عن ساكنها ذل الظاهر والباطن ، وحر الظاهر والباطن ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والمطش ، والعرى والضحى . وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

قالوا : وأيضاً فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (٢) فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، وأن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقي آدم
من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (١) فهذا إهباط آدم وحواء
وإبليس من الجنة ، فلماذا أتى فيه بضمير الجمع . وقد قيل : إن الخطاب
لهما وللجنة وهذا ضعيف جداً ، إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ،
ولا في السياق ما يدل عليها . وقيل : الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير
الجمع كقوله : « وكنا لحكمهم شاهدين » وهما داود وسليمان ، وقيل
لآدم وحواء وذريتهما .

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأولى ، لأنها بين قول لا دليل عليه ، وبين
ما يدل اللفظ على خلافه ، فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من
المهبطين ، فإذا تقرر هذا ، فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله : (وقلنا
اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون) والظاهر أن هذا الإهباط الثانى غير الأول ، وهو إهباط
من السماء إلى الأرض ، والأول إهباط من الجنة . وحينئذ فتكون الجنة
التي أهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد ، وقد ظن الرغشبرى أن قوله :
اهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعها
ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض
عدو) (٢) قال : ويدل على ذلك قوله : (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون) (٣) وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم .

ومعنى قوله : بعضكم لبعض عدو ، ما عليه الناس من التماذى والتباعد

وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذى اختاره أضعف الأقوال فى الآية ، فإن
العداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال
الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) (١) وهو سبحانه قد
أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن
لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجه ، فإنه إنما
أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة
والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعداوة بين الإنسان والشيطان .

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير
على بعض المذكور مع منافرتهم لطريق الكلام دون جميعه ، مع أن اللفظ
والمعنى يقتضيه ، فلم يصنع الزمخشري شيئاً ؟

وأما قوله تعالى فى سورة طه : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض
عدو) (٢) وهذا خطاب لآدم وحواء ، وقد جعل بعضهم لبعض عدواً :
فالضمير فى قوله اهبطا منها ، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه ، أو إلى آدم
وإبليس ، ولم يذكر الزوجة ، لأنها تتبع له : وعلى هذا ، فالعداوة المذكورة
للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر ، وأما على الأول فتكون
الآية قد اشتملت على أمرين :

أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثانى : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس ، ولهذا أتى بضمير
الجمع فى الثانى دون الأول ، ولا بد أن يكون إبليس داخلاً فى حكم هذه
العداوة قطعاً ، كما قال تعالى : (إن هذا عدو لك ولزوجك) (٣) وقال للذرية :

(٢) سورة طه آية ١٢٣

(١) سورة فاطر آية ٦

(٣) سورة طه آية ١١٧

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) . (١)

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر المداوة على ضمير الجمع دون التثنية؟ وأما الإيهام فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية ، وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله في سورة الأعراف : قال اهبط منها ، وكذلك في سورة ص وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم ، وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدا على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية ، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما ، وقد حكيت القولين في ذلك .

والذي يوضح أن الضمير في قوله : اهبطا منها جميعاً لآدم وإبليس ، أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجته فقال : (وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي ، قال اهبطا منها جميعاً) (٢) وهذا يدل على أن المخاطب بالإيهام هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً ، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين ، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى ، ومن ذكر أبو الإنس فقط .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله .

قالوا : وأيضاً فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله : (اسكن أنت وزوجك الجنة) (٣) ونظائره ولا جنة يعيدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة

(١) سورة فاطر آية ٦ .

(٢) سورة طه الآيات ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٥ .

كالدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرهما ، حيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى
الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين ، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجيء
منكرة أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في
الأرض :

فالاول : كقوله : (جنتين من أعناب) .

والثاني : كقوله : (ولولا إذا دخلت جنتك)^(١) والثالث : كقوله (إنا بلوناكم
كما بلونا أصحاب الجنة)^(٢) .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم هي جنة المأوى ، ما روى هوزة بن خليفة
عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال : « إن الله تعالى لما
أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء ، فثأركم هذه من
ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير » .

قالوا : وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها ، كما
روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه)^(٣) قال : « يارب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب
ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى ،
قال : أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال أرأيت إن تبت وأصلحت
أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال فهو قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه » وله طرق عن ابن عباس وفي بعضها : « كأن آدم قال لربه إذ عصاه :
رب إن أنا تبت وأصلحت فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة » فهذا بعض ما احتج
به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حجج الآخرين .

(٢) سورة القلم آية ١٧ .

(١) سورة الكهف آية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٧ .

الباب الرابع

في سياق حجج الطائفة التي قالت : ليست جنة الخلد وإنما هي جنة الأرض قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها . قالوا : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها .

قالوا : فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ، فن دخلها أقام بها ولم يقم بالجنة التي دخلها ، ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب جزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ، ووصفها بأنها دار سلامة مطابقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً ، وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل ، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها إلا بوان من الفتنة ، ودار الفرار ولم يستقروا فيها وقال في داخلها : (وما هم منها بمخرجين) وقد أخرج منها إلا بوان وقال : (لا يمسمهم فيها نصب) وقد ند فيها آدم هارباً فاراً ، وطفق يخرق ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس ، وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه .

وقد قال تعالى للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة)^(١) ولم يقل : إني جاعل في جنة المأوى . فقالت الملائكة (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟)^(٢) ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى .

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم : « هل أدلك على شجرة الخلد ومملكة لا يبلى ؟ » فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والمملكة الذي لا يبلى ، فكيف لم يرد عليه ويقول له : كيف تدأني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته وأسكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطعمه فيه من الخلد .

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور ، حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ، وإيضاً فبعد أن قيل له : اهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرده بعتوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله : (فما يكون لك أن تتكبر فيها)^(١) فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تسكبراً فما التسكبر بعد هذا ؟ .

فإن قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو في الأرض وما فوق السماء في عليين ، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً ، وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية . ؟

وإذا قلتم : إنه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما ، فالهذور قائم ، وإيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شهاهاً فقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة » وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ، ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له : « ألم أنهماكما عن تلكما الشجرة » ولم يقول عن هذه الشجرة ، فبعد ما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لما أطعمهما

في ملكها والخلود في مقرها آتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندها وربهما تعالى قال لهما: ألم أنهيكما عن تناول الشجرة ؟ ، ولما أراد إخراجهما منها ، فأنى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حق ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : (إليه يصعد الكلم الطيب) ووسوسة اللعين من أخبت الكلم فلا تصعد إلى محل القدس .

قال منذر : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن « آدم عليه السلام نام في جنته » وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل « أينام أهل الجنة ؟ قال : لا . النوم أخو الموت والنوم وفاة » وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت .

قلت : الحديث الذي أشار إليه المعروف ، أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد قال : « خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم » .

وقال أسباط عن السدى : « أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقتها الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلى » .

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس : « ألقى الله على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقة الأيسر ولأم مكانه لحماً وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال : لحي ودعي وروحي ، فسكن إليها » .

قالوا : ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لسكان هذا أولى بالذكر ، لانه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه ، فإنه كان معراجاً بيدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات .

قالوا : وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء ، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله في الأرض خليفة ، وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخل فيها لا يخرج منها ؟ قال تعالى : (وما هم منها بمخرجين) ^(١) قالوا : ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام ، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ، ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفت ظاهرة ، كقول من قال : يجوز أن يصعد إليها صموداً عارضاً لا مستقراً ، وقول من قال : أدخلته الحية ، وقول من قال : دخل في أجوافها ، وقول من قال : يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء ، ولا يخفى ما في ذلك من التمسك الشديد والتكليف البعيد ، وهذا بخلاف قولنا . فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته ، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسمى بكيدته وغروره في إخراجه منها . والله اعلم .

قالوا : وما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون : أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه ، وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله حمد الله بإذنه . فقال ربه : يرحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس فقال : للسلام عليكم . قالوا وعليك السلام إلح . ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحببتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت عيني ربي وكلنا يديه عيني مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يارب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب بين عيني عمره ، فإذا فيهم رجل أضوهم قال : يارب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتبت له عمراً أربعين سنة . قال : يارب زده في عمره ، قال ذلك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من

عمرى ستين سنة . قال : أنت وذلك ، قال : ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها . فساكن آدم عليه السلام يمد لنفسه ، قال : فأنا ملك الموت فقال له آدم وقد عجلت قد كتبت لى ألف سنة . قال بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة .

قالوا : فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها ، وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولساكنها أجلا معلوماً ، وفيها أسكن .

فإن قيل : فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهى إليه ، وأنه ليس من الخالدين ، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ وقوله : أو تكونا من الخالدين ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتى .
الثانى : أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قدر له من هممه .

قالوا : وأيضاً فمن المعلوم الذى لا ينزع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تراب هذه الأرض ، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين ، وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون . فقيل : هو الذى له صلصلة ليبسه . وقيل : هو الذى تغيرت رائحته من قولهم : صل اللحم إذا تغير . والحمأ : الطين الاسود للتغير ، والمسنون : المصبوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول ، كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ، ثم من عاققة ، ثم من مضغة ، ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصماده أو إصماده هو بمدخاقه ، وهذا ما لا دليل لـكم عليه ، ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به ؟

قالوا : ومن للمعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي للتغير
الرائحة الذي أنتن من تنيره ، وإنما محل هذه الأرض التي هي محل التغيرات الفاسدات ،
وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة ، فهذا أمر
لا يرتاب فيه العقلاء .

قالوا : وقد قال الله تعالى : (وأما الذين سمدوا في الجنة خالدين فيها مادامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)^(١) ، فأخبر سبحانه أن عطاء
جنة الخلد غير مجذوذ . قالوا : فإذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض ،
وجعله خليفة في الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه ، بعد
أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في
الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتثال والتكاليف ، وأنه
لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن
ولا يخاف ولا ينام ، وأن الله حرمها على الكافرين ، وإبليس رأس الكفر ،
فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل ،
فشمر إليه ورباً بنفسه عن حضيض التقليد ، تبين له الصواب . والله للوفيق .

قالوا : ولو لم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكاليف وقد كاف
الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الآكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكاليف
لا جزاء وخلد . فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم .

الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الاول

قالوا : أما قولكم : إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه ، فالسؤاله سمية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ، ونحن وأنتما إنما تلقينا هذا من القرآن ، لا من القول ولا من الفطرة ، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن ، بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين ، وبينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا ، وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لمعباده في إطلاقها وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفتحكم شيئا ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد عليها بذلك كمالها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقول آدم : « وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ؟ » فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقبال للخطيئة التى قد تقدمت منه في دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما في اللفظ الآخر : إني نهيته عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام ، وكذلك قول موسى له : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنة الخلد .

وقولكم : إنهم خرجوا من بساتين من جلس الجنة التى في الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين ، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما في كونهما في الأرض لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء .

وأما استدلالكم بقوله تعالى : (وقلنا اهبطوا) عقيب إخراجهم من الجنة ، فلفظ المهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غاية أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منسكر ، فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض .

وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوها فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوها متمكناً ، منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام . فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ولا تنفى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها ، وقد تقدمت .

وأما قوله تعالى : (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)^(١) ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطبيها وأفضاها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ، والجنة التي أسكنها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره . وأما قولكم : إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا ، فجوابه : إن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أهبطوا منها ؟ وأما قولكم : إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لم يكدب إبليس في قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد ؟)^(٢) ، فجوابه من وجهين :

أحدهما : أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له ، فإنه في اللغة : للمكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه ، ومنه قولهم : رجل مخلد إذا أسن وكبر ، ومنه قولهم لأنثافي الصخور : خوالد . لطول بقاءها بعد دروس الإطلال . قال :

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحرم

(١) سورة البقرة آية ٣٦ .

(٢) سورة طه آية ١٢٠ .

ونظير هذا إطلاعهم القديم على ما تقدم عهده وإن كان له أول ، كما قال تعالى :
(كالمرجون القديم) ، (وإنك لفي ضلالك القديم) ، (وإمك قديم) وقد أطلق
تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة ، كقائل النفس ، وأطلقه النبي صلى الله
عليه وسلم على قائل نفسه .

الوجه الثاني : أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم
لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك . وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى
وأوحى إليه وأنزل عليه منها صحفاً كما في حديث أبي ذر ، لكن هذا بعد إهباطه
إلى الأرض بنص القرآن . قال تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو
فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)^(١) وكذلك في سورة
البقرة : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى)^(٢) الآية .

وأما قولكم : إن الجنة وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً
كقوله تعالى : (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين)^(٣) وقولكم : إن السياق هاهنا دل على أنها جنة في الأرض .

قلنا : والأدلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض ،
فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبي موسى « أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة
وزوده من ثمارها » فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها وهذا
لا يقتضى أن تكون جنة الخلد .

وقولكم : إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها
آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت في الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم » أى لم
يتنن . وقد أبقي الله سبحانه وتعالى في هذا العالم طمام العزير وشرايه مائة سنة لم يتغير ؟

(١) سورة طه آية ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٣) سورة الفلم آية ١٧ .

وأما قولكم : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة. فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها ، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء ، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه : (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) (١) ، وقد جمل الله سبحانه المظاهر عائدات بإرادته الوطاء ثانياً أو بنفس الوطاء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

الباب السادس

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا : أما قولكم : إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بمد ، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول واستقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة .

وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة . فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا ، وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد ؟

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة . وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها . فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل السلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوى التقليل ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاء وثواب لا دار تسكيف ، وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تسكيف لا دار خلود . فجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه إنما تمتنع أن تكون دار تسكيف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التسكيف . وأما وقوع التسكيف فيها في دار الدنيا فلا دليل على

امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت » الحديث .
وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتمدون بها سواء سمي ذلك تسكيفاً أو لم يسم ،

الوجه الثاني : أن التسكيف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها ، وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها ، إما واحدة باليمين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تسكيف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الاوقات فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تسكيف الدنيا منتفية عنها ، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء ، فالعمر الله أنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعميمات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ، ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى : (اهبطوا بمضكم لبعض عدو) فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل . والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام بمقدار أجله وماذا كرتهم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

جوابه : أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله الجنة الخلد وإسكانه فيها مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خالق من الأرض فلا ريب في ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار : « أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً ، فحمل إبليس يطوف به ويقول : لأمر ما خلقت ، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتكلم ، فقال : لئن سامت عليه لأهلكته ، ولئن ساط على لأعصينه » ؟ مع أن قوله سبحانه : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) (١) ، يدل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصمد سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يميده إلى الأرض ، فقد أصعد المسيح صلى الله عليه وسلم إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد أسرى بيدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات . فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنزعيهم . والله أعلم .

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تنفى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه)^(١) و (كل نفس ذائقة الموت)^(٢) ، فتموت الحور المين التي فيها والولدان . وقد أخبر الله سبحانه أن الدار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ .

قالوا : وقد التزمى في جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال : يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان . وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » قال هذا الحديث حسن غريب .

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » قال هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تسكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى . قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة)^(٣) ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً : انسج لي ثوباً وابن لي بيتاً . وأصرح من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » متفق عليه .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمر بن عتبة .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(١) سورة القصص آية ٨٨ .

(٣) سورة التحريم آية ١١ .

قالوا : وقد جاءت آثار بأن الملائكة تنرس فيها وتبني للمبد ما دام يعمل ،
فإذا فتر فتر الملك عن العمل :

قالوا : وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث
أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قبض الله ولد
العبد ، قال : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ، قبضت قرّة عينه وثمرّة فؤاده ؟ قال :
نعم . قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع . قال ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه
بيت الحمد » .

وفي للسند من حديثه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« من صلى في يوم وليلة ثلث عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً في الجنة » .
قالوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم ، فهذا ابن مزين
قد ذكر في تفسيره عن ابن نافع ، وهو من أئمة السنة ، أنه سئل عن الجنة مخلوقة
هي ؟ فقال : السكوت عن هذا أفضل . والله أعلم .

الباب الثامن

في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية ، فنقول : ما تمنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ، تريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ، بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يردّه المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصحيحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكاملها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً آخر ، فهذا حق لا يمكن رده .

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه ، وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة ، وأن الله كثر ينشئ الله سبحانه لقائه منه غراساً في تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة ، وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبني له بناء ، وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) فإنما أنتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والزار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائها وخرابها وموت أهلها ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية .

قال البخارى في صحيحه : يقال كل شيء هالك إلا وجهه : إلا ملكه ، ويقال :
إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله : فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن
أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف
الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) فذلك أن الله سبحانه وتعالى
أنزل : (كل من عليها فان)^(١) ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطموا
في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال : كل
شيء هالك - يعنى ميت - إلا وجهه ، لأنه حتى لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند
ذلك بالموت . انتهى كلامه .

وقال في رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الاصطخرى ذكره
أبو الحسين في كتاب الطبقات قال : قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب
أهل العلم وأصحاب الآثار وأهل السنة المتمسكين بعروثها المعروفين بها المقندى بهم
فيها ، من لدن أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت
من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو
طمعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة
وسبيل الحق .

وساق أقوالهم إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها ،
خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيها أبداً .

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه)
وينحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك
هالك ، والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من
الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله
عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء ، وأن الله عز وجل على العرش والكروسي موضع قدميه ، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى ، وما في قعر البحر ومنبت كل شجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلة وعدد الحصى والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فإن احتج مبتدع وتخالف بقول الله عز وجل : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)^(١) وقوله : (وهو معكم أينما كنتم)^(٢) وقوله : (إلا هو معهم أينما كانوا)^(٣) وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم)^(٤) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعنى بذلك العلم ، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان .

وقال في رواية أبي جعفر اللطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي ، قال : الخلال حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة : كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ، ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

قال : أُملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة في السنة ثم قال في اثنتائها : وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقنا كما جاء الخبر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فرأيت فيها قصرأ ورأيت الكوثر ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلهما كذا وكذا » فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

(١) سورة ق آية ١٦ .

(٢) سورة الحديد آية ٤ .

(٣) سورة المجادلة آية ٧ .

(٤) سورة المجادلة آية ٧ .

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار ، وذكر رسالة في السنة قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، قد خلقنا كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » .

فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحصيه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي لا تظهر بها في غير هذا الكتاب البتة . ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخيم . والله المستعان وعليه التكلان . وهو الموفق للصواب :

الباب التاسع

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ^(١) وقال في صفة النار (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) ^(٢) بغير واو ، فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة ، والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف وقوله : وفتحت أبوابها عطف على قوله : جاؤوها . وهذا اختيار أبي عبيدة والبرد والرجاج وغيرهم .

قال البرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح ابن جنى : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للملم به .

بقى أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة ، وذكره في آية أهل النار ؟ فقال : هذا أبلغ في المرصعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجأهم العذاب بقتة ، حين انتهوا

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧١ .

إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبة فإنها دار الإهانة والحزى فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يسكنوهم من الدخول ، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة ، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأنصاهم ، فيقول : أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ماشاء أن يدعه ، ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه .

وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين ، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، رماركبه من الاطباق طبقات بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الحان الذي يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان ، ولهذه الدار فليمد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرة وهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ في الحزى والفضيحة والهيبة ، من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله زمراً .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : سلام عليكم ، فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تـكـرـهـون ، ثم قالوا لهم : طيبتم فادخلوها خالدين ، أى سلامتكم ودخلوها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخل والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتبهوا إليها على تلك الحال من الهم والنم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم : (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) (١) فاعترفوا وقالوا : بلى . فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بنس الثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ادخلوها . وقول خزنة النار لأهلها : ادخلوها أبواب جهنم ، تجد تحتها سراً لطيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو : أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أظلم شيء ، وأشد حرّاً وأعظم غماً ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ، ويدنو من النعم والحزى والحزن والكرب بدخول الأبواب . ف قيل : ادخلوا أبوابها صفاراً لهم وإذلالاً وخزياً ، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود فى النار ، وأما الجنة ففي السكرامه والمنزل الذى أعده الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) (٢) كيف تجد تحتها معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تنلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتحة كما هي .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمي الباب وصيداً وهى : (مؤصدة فى عمد مددة) قد جمعت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالجهر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

(١) سورة الزمر آية ٧١ .

(٢) سورة من الأيتان ٥٠ و ٥١ .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوءهم في الجنة حيث شاؤوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والالطاف من من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

وأيضاً إشاراً إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة .

فقال الكوفيون : التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون : مررت برجل حسن المين أى عينه . ومنه قوله تعالى : (فإن الجحيم هى المأوى) أى مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير مفتحة لهم الأبواب منها غذف الضمير وما اتصل به ، قال : وهذا التقدير في العربية أجود من أن يحمل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شيء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

قالوا : وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون في (مفتحة) ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب لسكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير الأبواب مرتفعة به . وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما نقول : مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يحجز ، فالألف واللام إذا للتعريف

ليس إلا ، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ، ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها .

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خاف وعوض عن الضمير تغنى عنه . وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك ، وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البديل معنى المبدل منه ، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير . لو قيل أبوابها وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجامها له المستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يمين صاحبه هذا بعين مفسره ، وهذا يعين مادخل عليه . وقد قالوا فى زيد نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزحشرى هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه فقال : جنات عدن معرفة كقوله (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب)^(١) ، وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مأب ، ومفتحة حال ، والعامل فيها ما فى المتن من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات ، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة ، هى الأبواب ، كقولهم : ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتغال ، هذا إعرابه . فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها . وأما قوله : (التى وعد الرحمن عباده)^(٢) . فبدل لا صفة ، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مأب على قوله ، لأن جريان المعرفة على النسكرة عطف بيان لا قائل به ، فإن القائل قائلان أحدهما : أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين .

(١) سورة مريم آية ٦١ .

(٢) سورة مريم آية ٦١ .

وثاني : أنه يكون في المعارف والنسكرات بشرط المطابقة ، كقول الكوفيين وأبي على الفارسي .

وقوله : إن في مفتحة ضمير الجنات ، فالظاهر خلافه ، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه .

وقوله : إن الأبواب بدل اشتغال فبدل الاشتغال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير ، وإن نازعهم فيه آخرون ، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به ، وأن يكون مقدرأ وهنالم يلفظ به فلا بد من تقديره أى الأبواب منها ، فإذا كان التقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها ، كان فيه تسكير للاضمار وتقليله أولى .

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان . لا يدخله إلا الصائمون » .

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعى من أبواب الجنة ، ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، فقال : نعم ، وأرجو أن تسكون منهم » .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » .

زاد أبو داود والإمام أحمد: ثم رفع نظره إلى السماء فقال: وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل».

وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحاق ابن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شريك بن شعبة عن عتبة.

الباب العاشر

في ذكر سمة أبوابها

عن أبي هريرة قال : « وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع - وكان أحب الشاة إليه - فنهش نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة : ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين فيسمعونهم الداعي وينفذهم البصر ، فذكر حديث الشفاعة بطوله . وقال في آخره : فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، فيقيمى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى ، فأقول : يارب أمق أمق فيقول : يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب اليمين ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر . أو هجر ومكة » .

وفي لفظ : « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » ، تنفق على صحته .

وفي لفظ خارج الصحيح بإسناده « إن ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » .

وعن خالد بن عمير المدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت هذاء ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يصطبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها ، فانقلبوا بخبر ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، فهذا موقف والذي قبله مرفوع ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا بين باب

من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الناكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده عن طريق حماد بن سلمة قال : سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين ، أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه « ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة سبع سنين » .

وروي في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ما بين مصراعين في الجنة لمصيرة أربعين سنة » وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة . والله أعلم ،

وروى أبو الشيخ ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس ، أنبأنا يعقوب بن حميد ، أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطفطون عليه حتى تسكاد مناكبهم نزول » رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه : « إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً ، يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه .

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواه ، حماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً ، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين ، وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبي الهيثم . قال

الإمام أحمد : أحاديث دراج مناكير . وقال أبو حاتم الرازي : ضيف . وقال
اللساني : ليس بالقوى .

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلّة حديث أبي هريرة
المتفق على صحته : على أن حديث حكيم بن معاوية ليس فيه بظاهر الرفع ،
ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ، فيكون كحديث عتبة بن غزوان .

الباب الحادى عشر

فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن : (مفتحة لهم الأبواب) قال :
أبواب ترى . وذكر أيضاً عن خلود عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها
وباطنهما من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحتى انفتاحى . وقال
أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد
ابن أبى الحوارى أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال : « لكل مؤمن فى
الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه
منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء
ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه
إذا شاء » . وقد روى سميل بن أبى صالح عن زياد النخعى عن أنس بن مالك
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من يأخذ بمحقة باب الجنة
ولا فخر » .

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأخذ بمحقة باب الجنة فأقمتها » وهذا
صريح فى أنها حقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سميل عن أبيه عن أبى هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آخذ بمحقة باب الجنة فيؤذن لى » ويذكر عن
على رضى الله عنه : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة
كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر ، واستجاب به الفنى ، واستقرع به باب
الجنة » .

فصل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فماليها أوسع ، ما دونه وسعة الباب ، بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مضافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

ولهذه الأمانة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « باب أمي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطفطون حتى تكاد منا كبهم نزول » ،

وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ يدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمي » الحديث . وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

وقال خلف بن هشام البزار : ثنا أبو شهاب عن عمر بن قيس اللاتى عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال : « إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ : (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) ^(١) إذا هم عندها بشجرة في أصلها عيمان تجريان فيشربون من إحداها فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويفتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تنفیر أبشارهم بعد هذا أبداً ، ثم قرأ : (طبتم فادخلوها خالدين) ^(٢) فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشرون

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

الأهل بالحجيم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بما ينتمون فنقول : أنت رأيت ؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكى على سريرته فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على الأولو ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلو لا أنه خلق له لا التمتع بصره فيقول : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)^(١) ، والله أعلم .

الباب الثاني عشر

في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا في معجم الطبراني أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله ابن الصقر الشكري ، قالا : أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحرامي ، ثنا عبد الرحمن بن المنيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام ، حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ، حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق .

قال دلهم : وحدثني أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قلت يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : لعمرك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً » وذكر الحديث بطوله .

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ، لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، لقوله : ما منهن بابان . والله أعلم .

الباب الثالث عشر

في مكان الجنة وأين هي ؟

قال الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)^(١) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وصحبت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون)^(٢) قال ابن أبي نجيع عن مجاهد ، هو الجنة . وكذلك تلقاه الناس عنه : وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال : هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماء ، ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيع عنه ، وقاله أبو صالح عن ابن عباس ، الخير والشر كلاهما يأتي من السماء .

١ هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله .

ر ت بن أبي أسامة ، حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا سهدى بن ميمون ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شفاف قال سمعت عبد الله ابن سلام يقول : « إن أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، وإن الجنة في السماء » رواه أبو تميم عنه . قال : ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال : ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ، ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال : « الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » .

وقال ابن منده : ثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا محمد

(٢) سورة الذاريات آية ٢٢ .

(١) سورة النجم الآيات ١٣ - ١٥ .

(هـ - حادى الأرواح)

ابن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار في الأرض السابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد : « قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : فأين النار ؟ قال : تحت سبعة أبحر مطبقة »
رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد .

وأما الأثر الذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عيسى بن يونس عن نوير ابن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو ، قال : « الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تشر في كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين في طير كالزراير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة » .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدّثه الله سبحانه وتعالى بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية دالة عليها ، كما جعل هذه النار مذكورة بتلك ، وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها في غاية العلو . والله أعلم ،

والحديث له لفظان هذا أحدهما والثاني : « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدّها الله للمجاهدين في سبيله » وشيخنا يرجع هذا اللفظ ، وهو لا ينبغي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أي من جملة أسمائه هذا القدر ، فيسكون الكلام جملة واحدة في الموضعين .

وبدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة

في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمتة بالجهاد ، والجنة مقبية أعلاها وأوسمها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

قال شيخنا أبو الحجاج المرى : والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن .

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات ، بحيث لاجنة فوقه دون العرش ، كان سقفاً له دون ماتحته من الجنات ، ولمظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدرج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة ، كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ، وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند تلاوته لحفظه ، والله أعلم .

الباب الرابع عشر

في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » رواه الإمام أحمد في مسنده وأفظه : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : ليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أقيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح .

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال : قال أعرابي : « يا رسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » .

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سنجرة قال : « إن السيوف مفاتيح الجنة » .

وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله » وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور » ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح النوفيق الرغبة والرغبة ، ومفتاح الإجابة الدهاء ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الإيمان التمسك بما دعا الله عباده إلى التمسك فيه . ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص

له في الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع
بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسمي
في نفع عبده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة
الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة
في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق
لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حفظه وتوفيقه ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل
خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه ، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما
بعث الله به رسوله ، والفيلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، وكما جعل الحجر
مفتاح كل إثم ، وجعل النفي مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطالب
والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الحية والحرمات ، وجعل المعاصي مفتاح
الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة
الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل
بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في
نفسه وما في الوجود من الخير والشر ، فيدبني للعبد أن يعتق كل الاعتناء بمعرفة
المفاتيح وما جملت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ،
وله النعمة والفضل ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

الباب الخامس عشر

في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى : (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون)^(١) فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية ، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد للمقربين من الملائكة والنبیین وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء الكتاب العجائب تنوياً بكتاب الأبرار ، وما وقع لهم به ، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك توافيع من تعظمه بين الأمراء ، وخواص أهل المملكة تنوياً باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله وسبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسفراييني في صحيحهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحده ، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ، ثم قال : إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن ، فجلسوا منه مد بصره ، ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عنه رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني

على ملائكة - إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حق ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حق ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبيدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملائكة فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما عملك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، قال : فينادي مناد من السماء أن صدق عبيدي فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ؛ رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الحبيثة ، أخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من العوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يحملوها في تلك المسوح ويخرج منها كأن تن ربح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الحبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأفح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حق ينتهي إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)^(١) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتطرح روحه طرْحاً ،

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)^(١) فتماد روحه في جسده ويأتيه ملائكة فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه !! لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي يمث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ فيقول أنا عملك الحبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » ورواه أبو داود بطوله بنحوه ، فهذا التوقيع وللشور الأول .

فصل

وأما للشور الثاني : فقال الطبراني في معجمه : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء ابن يسار عن سلمان التمارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » .

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراق حدثنا محمد بن إسحاق ابن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد بن حسام حدثنا المباسم بن زياد ثقة ثنا سعدان بن شعيب ثنا سليمان التيمي عن أبي هثان

النهدى عن سلمان الفارسي ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط يسلم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم ، لفلان ابن فلان أدخلوه الجنة عالية قطوفها دانية » .

قلت : وقع للمؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة . فالحمد لله المستعان .

الباب السادس عشر

في توحيد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم .
وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل
النار كقوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله)^(١) وقال : (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر)^(٢) أى ومن السبيل
جابر عن القصد وهى سبيل النبی وقال : (هذا صراط على مستقيم) .

وقال ابن مسعود : « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وقال : هذا
سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال : هذه سبل . وعلى كل
سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل) الآية .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يهتدى
به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام)^(٣) .

قيل : هى سبل تجمع في سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم ،
فهذه هى سبل شجب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها
وشعبها .

وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره . وطريق الجنة
هى إجابة الداعى إليها ليس إلا .

وقد روى البخارى في صحيحه عن جابر قال : « جاءت ملائكة إلى النبي

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة النحل آية ٩ .

(٣) سورة المائدة الآيتين ١٥ و ١٦ .

صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العيين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى داراً وجعل مأدبة وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إن للعيين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد ، فمن أطاع محمداً أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس .

ورواه الترمذى عنه ولفظه : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنعامتلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل مائدة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، ففهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها » .

وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بطحاء مكة فأجالسنى ثم خط على خطاً ثم قال : لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تسكهمهم فأنهم لا يكلمونك ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد فبينما أنا جالس فى خطى ، إذ أنانى رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشراً ويلتهمون إلى لا يجاوزون الحظ ، ثم يصدرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى وأنا جالس فقال : لقد رأتى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى فتوسد فخذى فرقد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رقد نفع ، فبينما أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فأنتهوا إلى ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة منهم عند رجليه . ثم قالوا : ما رأينا عبداً قد أوتى مثل ما أوتى هذا النبي ، إن عييه تمانان

وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً ، مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرا به ، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرا به ، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال : سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدري من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم الملائكة ، فتدري ما المثل الذى ضربوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : الرحمن بنى الجنة ، ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه . »

الباب السابع عشر

في درجات الجنة

قال تعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً) (١) .

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن عبيد قال : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه قال : هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضر سبعين عاماً » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى : (لهم درجات عند ربهم) قال : بعضهم أفضل من بعض ، فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة . ثم أوقفه ثانياً بدرجات ، فقليل الأول بين القاعد المذخور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد . وقال تعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (٢) .

وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (٣) .

(١) سورة النساء الآيتان ٩٥ و ٩٦ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٦٢ و ١٦٣ .

(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ — ٤ .

وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ولفظ البخاري في الأفق وهو أبين والغابر هو الذهاب الماضي الذي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت لل رأس وهو أعلى فائدتان ، إحداهما : بعمده عن العيون . والثانية : أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى ، كاللبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله . والله أعلم .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة ، كما ترون الكوكب في أفق السماء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فرات أخبرني فليح عن هلال بن يحيى ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغابر في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات . قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث (الغابر) وفي حديث أبي سعيد الخدري (الغابر) وقوله : الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً .

وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سلمان عن هلال بن علي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب المشرق والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات . قالوا : يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال : بلى ، والذي

نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وهذا على شرط البخارى أيضاً .
 وفي المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالسكوك الطالع الشرقى أو الغربى ،
 فيقال من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن فى الجنة مائة درجة ولو أن المالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعهم » .

وفى المسند عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن
 إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد وبقراً ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »
 وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين
 كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى
 الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » فلما أن تكون هذه المائة
 من جملة الدرج ، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة ، وفى ضمن كل درجة
 درجة دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ
 ابن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى هؤلاء
 الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يفر له هاجر أو قعد حديث
 ولدته أمه ، قلت : يا رسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس ؟ قال : لا ؛ ذر الناس
 يعملون ، وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض ،
 وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهى أوسط شيء فى الجنة ،
 ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس » رواه الترمذى
 وهكذا بلفظه .

وروى أيضاً من حديث عطاء بن عباد عن الصامت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « إن في الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو حديث معاذ
وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام » قال : هذا حديث
حسن غريب ،

وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه : « إن في الجنة مائة درجة لو أن المالين
اجتمعوا في إحداهن لوسعتهن » ورواه أحمد بدون لفظة : « في » كما تقدم وقد
رويت هذه الأحاديث باللفظة « في » وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من
جملة درجاتها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبير المتضمنة للدرج الصغار ،
والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير
في السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، وبدل
عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانيء التميمي
سمعت أبا علي التميمي سمعت أباسميد الحدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض ،
أو بعدما بين السماء والأرض ، قلت : يا رسول الله إن ؟ قال : للجهاديين في
سبيل الله » .

الباب الثامن عشر

في ذكر أطي درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً » ثم سلوا إلى الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل إلى الوسيلة حلت عليه شفاعتي » .

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم فسلوا الله إلى الوسيلة . قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون أنا فصلاً ولا تأكيداً بل مبتدأ . وفي الصحيحين من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة » .

هكذا لفظ الحديث (مقاماً) بالنسبة ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا اللطف من جعل الذي وعدته بدلاً ، فتأمل .

وفي المتن من حديث عمارة بن غزيرة عن موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فسلوا الله إلى الوسيلة » .

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه : « درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتيها على رؤوس الخلائق » .

وقال أبو نعيم ، أنبأنا سليمان بن أحمد : حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، حدثنا عبد الله بن عمران المابدي ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلى من نفسي ، وإنك لأحب إلى من أهلي ، وأحب إلى من ولدي ، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) (١) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن ، وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب ، وهي فضيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه .

قال ليبيد :

* بلى كل ذي رأى إلى الله واسل *

ومعنى الوسيلة : من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً . وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حُسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفا . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : « نور سقف مساكنكم نور عرشه » .

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : « إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور المدنية الفضل على سائر الحور ، والقربى والزلفى

واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل » ،

وقال السككي : « اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة » ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف ، بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ^(١) فقوله : أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعواهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب ، منها : دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه .
وقوله : « حلت عليه يروى عليه » و « له » فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ، ومن رواه بـ « على » فمعناه وقعت عليه شفاعتي . والله أعلم .

الباب التاسع عشر

في عرض الرب تعالى سلامة الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم

وعقد النبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)^(١) فحمل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوا هاهنا فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .

أحدها : إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أن .

الثاني : الإخبار بذلك بصيغة الماضي ، الذي قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع .

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس : أنه أتى بصيغة على التي للوجوب إعلاماً لعباده ، بأن ذلك حق عليه ، أحقه هو على نفسه .

السادس : أنه أكد ذلك حقاً عليه .

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه في أفضل كتيبه المنزلة من السماء ، وهي التوراة والإنجيل والقرآن .

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده سبحانه .

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويدشروا به بعضهم بعضاً بشاراة من قد سم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسدحه .

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله : بايعتم به أى عاوضتم وثأمتهم به .

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد ، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكرهه ، العابدون له بما يحب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون ، السائحون وفسرت السياحة بالصيام ، وفسرت بالسفر في طاب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة . والتحقق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبهه والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال . ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بدلهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طاب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين : هذه ترك ما يكرهه ، وهذه فعل ما يحب ، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ، وسياحة اللسان في أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله .

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن ، وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية ، وهذا في القلب ، كما في المسند عنه صلى الله عليه وسلم : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » .

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثبوت والبركة قرينتين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذلت صموبتها . وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد .

وجعل الركوع والسجود قرينين ، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده ، فهذا حفظها في نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ماهو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبائع ، فالسلعة لنفس والله سبحانه المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع العمل

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خاف أوج ومن أوج بلغ للنزل ، ألا إن سلمة الله غالية ، ألا إن سلمة الله الجنة » قال : هذا حديث حسن غريب .

وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث أبان عن أنس قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما تمن الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، دلفي على عمل إذا عملته دخلت الجنة . فقال : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولي قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال ، أدخل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم » .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات وهو يعلم ، أن لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة » .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قاله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق » .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » .

وفي لفظ « أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » .

وفي صحيح مسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا هريرة نعلية فقال : اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه ، فبشره بالجنة » .

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : « ثمن الجنة لا إله إلا الله » .

وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل أحداً منكم الجنة عمله ، ولا يجيره من النار ، ولا أنا إلا بتوحيده من الله تعالى » وإسناده على شرط مسلم ، وأصل الحديث في الصحيح .

فصل

وههنا أمر يجب التنبية عليه وهو : أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى ، وليس عمل المبد مستقلاً بدخولها ، وإن كان سبباً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال

في قوله : (بما كنتم تعملون) ، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين :

أحدهما : ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته . واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبي هريرة الذي سيأتي إن شاء الله تعالى ، أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، رواه الترمذى .

والثاني : أن الباء التي نفى الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد الموضين مقابلا للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلا بمحصوله . وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله : « سدّدوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجى بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته » .

ومن عرف الله تعالى ، وشهد مشهده حقه عليه ، ومشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم : (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (١) .

والمعنى : وآتنا ما وعدتنا على السنة رسلك من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك . وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا) وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل ، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على السنة الرسل ، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل ، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وإيمانهم بلفظهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه . وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية .

وقيل : المعنى آتانا ما وعدتنا من النصر والظفر على السنة الرسل . والأول أعم وأكمل .

وتأمل : كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيهِ ، ورسله ووعدهِ ووعيدهِ ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابته لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم . فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده ، مع أنه فاعل لذلك ولا بد .

وأجاب : بأن هذا تعبد محض كقوله : (رب احكم بالحق) وقول الملائكة : (فاعزل الذين تابوا واتبعوا سبيلك)^(١) ، وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشرط منها : الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به . وأن لا يلحقه ما يحبطه . فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده ، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها ، وهم أخرج إليه من كثير من الادعية .

وأما قوله : رب احكم ، فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم ، فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة .

وكذا سؤال للملائكة ربهم أن يغفر للتائبين ، هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة ، فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريد بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسباباً لإرادته ، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويفض ويخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها ، فالشكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائده إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجحه إلا المالمون بالله . ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعده به قوله تعالى : (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ، كانت لهم جزاء ومصيراً لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مشؤولاً)^(٢) يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة كسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسول يسألونه إياها لهم ولاتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه

(١) سورة غافر آية ٧ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ١٥ و ١٦ .

وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالرب تعالى جواد له الجود كله، يجب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه، فيخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومشئوله، وذلك لمحبة سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يفضب إذا لم يسئل.

الله يفضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يفضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وأعطاه وقربه وأعطاه.

وفي الحديث: «من لم يسأل الله يفضب عليه» فلا إله إلا هو، أى جنابة جنت القواعد الفاسدة على الإيمان، وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائها، وصفات كماله ونعمت جلاله !!! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس، هو ابن أبي إسحاق، حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار: اللهم أجره من النار» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن يزيد به.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يارب إن عبدك فلاناً يسألك فأدخلنيه».

وقال أبو يعلى الموصلى: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب؛ حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: إن عبدك فلاناً

استجار من فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يارب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة » ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود في مسنده : حدثنا شعبة : حدثني يونس بن حبان : سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أسأل الله الجنة سبعاً ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة » ،

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا مسألة الله الجنة واستميدوا به من النار ؛ فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة : يارب عبدك هذا الذي سألتك فأسكنه إياي . وتقول النار : يارب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه » .

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون : حسبنا أن يجبرنا من النار ، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ، ثم رفع يديه وقال : اللهم أجرني من النار أو مثلي يجترى أن يسألك الجنة . ومنهم عطاء السلمي ، كان لا يسأل الجنة ، فقال له صالح المري : إن أبا ن حدثني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : انظروا في ديوان عبدي ، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته ، ومن استعاذ بي من النار أعدته » فقال عطاء : كفاني أن يجبرني من النار ، ذكرها أبو النعيم ؛

وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للفق - يعني الذي شكاه - « كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت ؟ قال : أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، وإنني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني ومعاذ أحولها ندندن » ،

وفي سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه عن

أحمد بن عمرو المصفرى ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد ، فذكره .

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث : « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان . تقول الجنة : يا رب قد طابت ثمارى ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فمجل إلى بأهلى » الحديث

فالجنة تطاب أهلها بالذات ، وتجذبهم إليها جذبا ، والنار كذلك ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرهما ولا ننساها .

كما روى أبو يعلى الموصلى في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا أيوب بن أبي شييب الصنعاني قال : كان فيما عرضنا على رباح بن زيد ، حدثني عبد الله بن غمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنسوا العظيمتين ، قانا : وما العظيمتان يا رسول الله ؟ قال : الجنة والنار » .

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اطلبوا الجنة جهداً واهربوا من النار جهداً ، فإن الجنة لا ينام طالبها ، وإن النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره ، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات ، فلا تلهينكم عن الآخرة » .

الباب الحادى والعشرون

فى أسماء الجنة ومما فيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومساها واحد باعتبار الذات ، فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار .

الإسم الأول : الجنة . وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرّة الاعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ، والجنان لاستتاره عن العيون ، والمجن لستره ووقايته الوجه ، والمجنون لاستتاره عقله وتواريه عنه ، والجنان وهى الحية الصغيرة الرقيقة ، ومنه قول الشاعر :

فذقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت
أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك . ومنه سعى البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار وينطيه ، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع ، والجنة - بالضم - ما يستجن به من ترس أو غيره .

ومنه قوله تعالى : (اتخذوا أيمانهم جنة ^(١)) أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم .

ومنه الجنة - بالكسر - الجن كما قال تعالى : (من الجنة والناس) ^(٢) وذبيت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة ، واحتجوا بقوله تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) ^(٣) قالوا : وهذا النسب قرلهم الملائكة بنات الله ، ورجعوا هذا القول بوجهين :

أحدهما : أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجنة وبينه .

الثانى : قوله تعالى : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون)^(١) أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى : (من الجنة والناس) وعلى هذا فى الآية قولان :

أحدهما : قول مجاهد ، قال : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : سروات الجن . وقال الكلبي : قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة : قالوا : صاهر الجن .

والقول الثانى هو قول الحسن قال : أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الاول ليس بمستلزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا : الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن ، وأما قوله : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب . قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأجباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟)^(٢) ، فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الاول ، فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة .

فصل

الإسم الثانى : دار السلام . وقد سماها الله بهذا الإسم فى قوله : (لهم دار السلام عند ربهم)^(٣) ، وقوله : (والله يدعو إلى دار السلام)^(٤) ، وهى أحق بهذا

(١) سورة الصافات آية ١٥٨

(٢) سورة المائدة آية ١٨ .

(٣) سورة الأعمام آية ١٢٧ .

(٤) سورة يونس آية ٢٥ .

الإسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها : (وتحييتهم فيها سلام) ، (وللافسكة يدخلون عليهم من كل باب ه سلام عليكم بما صبرتم)^(١) ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم ، كما قال تعالى : (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ه سلام قولاً من رب رحيم)^(٢) وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، كما قال تعالى : (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلااً)^(٣) .

وأما قوله تعالى : (وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك منى أصحاب اليمين)^(٤) فأكثر المفسرين حاولوا حول المعنى وما وردوه ، وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود .

وإنما معنى الآية والله أعلم : فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كأنما من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنسكاه ، ومن النار وعذابها ، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدمه على الله كما يبشر الملك ووجه عند أخذها بقوله : أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة .

فصل

الإسم الثالث : دار الخلد . وسميت بذلك ، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : (عطاء غير مجدود) وقال : (إن هذا نزلنا ماله من نقاد)^(٥) وقال : (أكلها دائم وظلها) وقال : (وما هم منها بمخرجين) وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة الرعد الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة يس الآيتان ٥٧ و ٥٨ .

(٣) سورة مريم آية ٦٢ .

(٤) سورة الواقعة الآيتان ٩٠ و ٩١ .

(٥) سورة ص آية ٥٤ .

فصل

الإسم الرابع : دار المقامة ، قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يحسن فيها نصب) (١) .

قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً .

قال الفراء والزجاج : المقاومة مثل الإقامة يقال : أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً .

فصل

الإسم الخامس : جنة المأوى ، قال تعالى : (عندها جنة المأوى) والمأوى مفعول من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به .

وقال عطاء عن ابن عباس : هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل والسكري : هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش : هى جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم أسماء الجنة كما قال تعالى . (وأما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى) (٢) وقال فى النار : (فإن الجحيم هى المأوى) وقال : (ومأواكم النار) .

(١) سورة فاطر الآيتان ٣٤ و ٣٥ .

(٢) سورة النازعات الآيتان ٤٠ و ٤١ .

فصل

الإسم السادس : جنات عدن ، ف قيل : هي اسم الجنة من الجنان . والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالنيب)^(١) ، وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)^(٢) وقال تعالى : (ومساكن طيبة في جنات عدن)^(٣) والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به ، وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

وقال الجوهري : ومنه جنات عدن أى إقامة ومنه سمي المعدن - بكسر الدال - لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه . والمادن : الناقة الملقمة في المرعى .

فصل

الإسم السابع : دار الحيوان ، قال تعالى : (وإن الدار الآخرة لمهى الحيوان)^(٤) المراد الجنة عند أهل التفسير ، قالوا : وإن الآخرة يعنى الجنة لمهى دار الحياة التي لا موت فيها . فقال السكبي : هي حياة لا موت فيها . وقال الزجاج : هي دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة . قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان ، قال أبو عبيدة . الحياة والحيوان الحمى - بكسر الحاء - واحد قال أبو على : يعنى أنها مصادر ، فالحياة فعله كالجابة والحيوان كالنزوان والغليان ، والحمى كالمى قال المبرج :

(١) سورة مريم آية ٦١ .

(٢) سورة فاطر آية ٣٣ .

(٣) سورة الصف آية ١٢ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

* كُنَّا بِهَا إِذَا الْحَيَاةُ حَيٌّ *

أى إذا الحياة حياة . أما أبو زيد غالفهم وقال : الحيوان ما فيه روح . والموتان
والموت ما لا روح فيه . والصواب : أن الحيوان يقع على ضربين : أحدهما :
مصدر ، كما حكاه أبو عبيدة . والثاني : وصف كما حكاه أبو زيد ، وعلى قول أبي زيد :
الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجع القول الأول بأن الفعلان باباه المصادر كالتزوين
والفعلان بخلاف الصفات فإن باباهما فعلان كسكران وغضبان ، وأجاب من رجح القول
الثاني بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضاً قالوا ، رجل ضميان للسريع الخفيف . وزفيان
قال في الصحاح : ناقة زفيان سريمة وقوس زفيان سريمة الإرسال للسهم . فيحتمل
عوله تعالى : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) معنيين .

أحدهما : أن حياة الآخرة هى الحياة ، لأنها لا تنفص فيها ولا تفاد لها أى
لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدراً على هذا .
الثاني : أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تنفى ولا تنقطع ولا تبعد كما يفنى
الاحياء في هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الإسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

فصل

الإسم الثامن : الفردوس قال تعالى : (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون)^(١) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلاً * خالدين فيها)^(٢) والفردوس : إسم يقال على جميع
الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحق بهذا الإسم من غيره من الجنات .
وأصل الفردوس : البستان والفرايس البساتين . قال كعب : هو البستان الذى فيه
الأغاب ، وقال الليث : الفردوس جنة ذات كروم . يقال : كرم مفردس أى معمرش .
وقال الضحاك : هى الجنة الملتفة بالأشجار ، وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت

(١) سورة المؤمنون آية ١١ .

(٢) سورة المكه آية ١٠٧ .

من كلام العرب : الشجر للثف والأغلب عليه المنب، وجمعه : الفراديس : قال :
ولهذا سمي باب الفراديس بالشام ، وأنشد لجرير :

فقلت للركب إذا جدد السير بنا يا بمد نرين من باب الفراديس

وقال مجاهد : هذا البستان بالرومية . واختاره الزجاج فقال : هو بالرومية منقول
إلى لفظ العربية . قال : وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين :
قال حسان :

وإن ثواب الله كل مخلد جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

الإسم التاسع : جنات النعيم . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم)^(١) ، وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع
التي يتمتع بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والنظر
البهيج ، والمساكن الواسعة . وغير ذلك من النعم الظاهر والباطن .

فصل

الإسم العاشر : المقام الآمين . قال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين)^(٢) ،
وللقام : موضع الإقامة ، والآمين : الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي
قد جمع صفات الأمن كلها ، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص ، وأهله
آمنون فيه من الخروج والنقص والانسكد (والبلد الآمين) الذي قد أمن أهله فيه
مما يخاف منه سواهم ، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى : (إن المتقين
في مقام أمين) وفي قوله تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين)^(٣) فجمع لهم

(١) سورة لقمان آية ٨ .

(٢) سورة الدخان آية ٥١ .

(٣) سورة الدخان آية ٥٥ .

بين أمن السكان وأمن الطعام ، فلا يخالفون انقطاع المأكلة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخالفون ذلك ، وأمن الموت فلا يخالفون فيها موتاً .

فصل

الإسم الحادى عشر والثانى عشر : مقعد الصدق ، وقدم الصدق ، قال تعالى :
 ﴿ إِنِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ ^(١) ، فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال : مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحمة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه ، وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل ، والصدق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق - بالفتح - الصاب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع ، إنه لدو مصدق أى صادق الجملة . وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ، ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شئ تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط ، وفمر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك ، والنهقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة ، أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله ، وأدخر لهم جزاءها يوم القيامة ، ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ، وأنه ثناء بحق لا يباطل ، ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله والله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجاً من أمر ، فحق كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق . والله المستعان .

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة : اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً ، كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك : أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة « أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ، فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنها جنتان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جنتان من ذهب آتيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وحليتهما وما فيهما ، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء السكبرياء على وجه في جنة عدن » وقد قال تعالى : (ولن خاف مقام ربه جنتان) ^(١) فذكرها ثم قال : (ومن دونهما جنتان) ^(٢) فهذه أربع قد اختلفت في قوله ومن دونها هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين : فقالت طائفة : من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى من دونهما تحتهما . قالوا : وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا : هذا دون هذا ، أي دونه في المنزلة . كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه : أنا دون ما تقول فوق ما في نفسك ، وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الناية ، ثم قال : ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

(١) سورة الرحمن آية ٤٦

(٢) سورة الرحمن آية ٦٢

أحدهما : قوله : (ذواتا أفنان) وفيه قولان : أحدهما : أنه جمع فنن ، وهو التنصن . والثاني : أنه جمع فن وهو الصنف أى ذواتا أصناف شق من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

الثاني : قوله : (فيهما عينان تجريان) وفي الآخرين (فيهما عينان نضاختان)^(١) والنضاخته : هى الفوارة والجارية السارحة وهى أحسن من الفوارة ، فإنهما تتضمن الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال : (فيهما من كل فاكهة زوجان)^(٢) ، وفي الآخرين : (فيهما فاكهة ونخل ورمان)^(٣) ، ولا ريب أن وصف الأولين أكل ، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان . فقالت طائفة : الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف وصنف من شكاه غريب . وقالت طائفة : نوعان ولم تزد . والظاهر والله أعلم : أنه الحلوى والحامض والأبيض والأحمر ، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم .

الرابع : أنه قال : (متسكئين على فرش بطائنها من إستبرق)^(٤) ، وهذا تلبسه عن فضل الظهار وخطرها وفي الآخرين قال : (متسكئين على رفرف خضر وعبقري حسان)^(٥) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط ، وفسر بالفرش ، وفسر بالمحابس فوقها . وعلى كل قول فلم يصح به بما وصف به فرش الجنة الأولين .

الخامس : أنه قال : (وجنى الجنتين دان) أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك في الآخرين .

(١) سورة الرحمن آية ٦٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٢ .

(٣) سورة الرحمن آية ٦٨ .

(٤) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٥) سورة الرحمن آية ٧٦ .

السادس : أنه قال : (فيهن قاصرات الطرف) أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهن وعجبتهن لهن ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن . وقال في الآخرين : (حور مقصورات في الخيام) ، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكل من قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى في الجنة الأوليين : (مل جزاء الإحسان) وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنة الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه ، وهذا يدل على أنها أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب السبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقرين وأصحاب يمين ذكر جنق المقرين ثم ذكر جنق أصحاب اليمين .

المأثر : أنه قال : (ومن دونهما جنتان) والسياق يدل على أنه نقيض فوق . كما قال الجوهري ، فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ، كان المقرين منهم الجنة الماليتان ، ولأصحاب اليمين الجنة اللتان دونهما ، قيل : فهل الجنة مجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثاني بوجهين : أحدهما : من جهة النقل . والثاني : من جهة المعنى فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : هما « بستانان في رياض الجنة » وأما الذى من

جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر . والثانية : جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء (فيهن) في الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال (فيهما) ؟

قيل : لما ذكر الفرش قال بعدها : (فيهن خيرات حسان) ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى . والله أعلم .

الباب الثالث والمشرون

في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده

تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده ، فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة جبريل ، ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن السموات العليا ، ومن البلاد مكة ، ومن الأشهر الحرم ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليل وسطه ، ومن الأوقات أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى : (يخلق ما يشاء ويختار)^(١) .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد الله ابن صالح ، حدثني الليث قال الطبراني في معجمه ، وحدثنا أبو الزبناح روح بن الفرج ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات ييقن من الليل ، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه ، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها مالم تره عين أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول : ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ؟ ألا سائل يسألني فأعطيه ؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له ؟ حق يطلع الفجر » قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)^(٢) فيشاهده الله تعالى وملائكته .

(١) سورة القصص آية ٦٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨ .

قال الحسن بن سفيان : حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال : حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يفي الفردس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر » وقد ذكر الدارمي والنجار وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث ، قالوا : يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث ؟ قال الذي يقر السوء في أهله » قلت : المحفوظ أنه موقوف .

قال الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبيد بن مهران ، حدثنا مجاهد ، قال : قال عبد الله بن عمر : « خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق كن فكن » وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال : « إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده » حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال : « لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده . ثم قال لها : تسكمني . قالت : قد أفلح المؤمنون » ، وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا حفص بن حميد عن ثمر بن عطية قال : « خلق الله جنة للفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات ، فيقول : ازدادى طيباً لاوليائي . ازدادى حسناً لاوليائي » .

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال : « إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر ، فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون »

وذكر البيهقي من حديث البنوي حدثنا يونس بن غبيد الله البصري ، حدثنا عدي بن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أحاط الحنطة لبنة من ذهب ولبنة من فضة . وغرس عرشها بيده ، وقال لها تسكمني فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال : طوبى لك منزل الملوك » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن أبي المنى البزار ، حدثنا بشير بن حسن عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران . ثم قال لها . انطقي . قالت : قد أفلح المؤمنون . فقال الله عز وجل : ووعدتني وجلالي لا يجاورني فيك نجيل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) » ^(١) ، وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره . وبالله التوفيق ، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان .

وقد روى مسلم في صحيحه عن المفيرة بن شعبة عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجل يحىء بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ ! فيقال له : آتري أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضي رب ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضي رب قال رب فأعلام منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » ومصادقه من كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) ^(٢) .

(١) سورة الحفر آية ٩

(٢) سورة السجدة آية ١٧

الباب الرابع والعشرون

ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) (١) والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه .

وروى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بلى ، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه : « من أتق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فهم . قال أبو بكر : يا رسول الله ذاك الذي لا نوى عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن تكون منهم » وفي لفظ « هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم . وأرجو أن تكون منهم » .

لما سمعت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان . وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسمى في العمل الذي ينال به ذلك ، فغبره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟

فله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان . وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار ماسكا وهو اسم مشتق من الملك ، وهو القوة والشدة حيث تصرف حروفه .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال : « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك » وذلك أن قيامه إليه صلى الله عليه وسلم خاصة إظهاراً لمزيتة ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته ، وهو كمالك عليهم ، وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب .

وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قصدت طي يتامى » .

وفي الترمذى من حديث ابن عباس قال : « جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً إن الله من خلقه خيلاً اتخذ إبراهيم خيلاً ، وقال آخر : ما ذلك بأعجب من كلمه موسى كله تسكيباً .

وقال آخر : فبى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نبي الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا غر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا غر ، وأنا أول من يترك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا غر » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس

خروجاً إذا بشوا وأنا خطيهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافهم إذا
 حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أنصوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ،
 وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا نحر ، يطوف على ألف خادم كأنهم الأولاد
 المسكنون » ، رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع
 باب الجنة » .

الباب السادس والمشرون

في ذكر أول الامم دخولا الجنة

وفي الصحيحين من حديث ممام بن عنبة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فمنه بيد معنى سوى وغير إلا ونحوها ،

وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

وفي الصحيحين من حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمي » قال الدارقطني : غريب عن الزهري ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ، ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير .

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبقهم إلى ظل المرث ، وأسبقهم إلى الفضل والقضاء بينهم ، وأسبقهم إلى الجواز

على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

وأما أول الأمة دخولا فقال أبو داود في سننه : حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المخاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جمعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمي فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمي » وقوله : « وددت أني كنت معك » حرصاً منه على زيادة اليقين ، وأن يصير الخبر عياناً . كما قال إبراهيم الخليل (رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (١) ، وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه : حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي ، أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يصاحفه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذه بيده فيدخله الجنة » فهو حديث منكر جداً ، قال الإمام أحمد : داود بن عطاء ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث .

الباب السابع والعشرون

في ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفهم

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفقون فيها ولا يتفوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الآلوة ، ورشحهم المسك ، واسكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتفوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » .

وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض على أول ثلاثة من أمي يدخلون الجنة وأول ثلاثة

يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأما مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله ، وفقير فخور .

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبي عشابة المعافري أنه سمع عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المسكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئاً اتقى بهم المسكاره ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطيع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سميدهم وشقيهم ، قسم سميدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال : « والسابقون السابقون » واختاف في تقريرها على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله : « أولئك المقربون » - والثاني : أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك : زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال :

وكقول الآخر :

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

* إذ الناس ناس والزمان زمان *

قال ابن عطية : وهذا قول سيويوه ، والثالث : أن يكون الأول غير الثاني ، ويكون للمعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم .

فإن قيل : فما تقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه

من حديث بريدة بن الحصيب قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال : بلال ، بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي . ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي ، فأبيت قصر مريع مشرف من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ، قلت : أنا محمد . لمن هذا القصر ؟ قالوا الأمر بن الخطاب ، فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله على ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبذلك »

قيل : تتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم .

وقد روى في حديث : « أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان » فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله ، وإظهاراً لشرفه وفضله ، ولا سبقاً من بلال له ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، ودخول المسجد ونحوه . والله أعلم .

الباب الثامن والمشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقبري عن سعيد ابن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعمائة خريفاً » .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعمائة خريفاً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقى مؤمنان على باب الجنة ، مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ماشاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال : أي أخى ، وماذا حبسك ؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك ، فيقول : أي أخى ، وإنى حبست بمذك محبساً عظيماً كريهاً ، ما وصلت إليك حتى سال من العرق ، ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض لصدورت عنه » .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن عبد الله الرازي قالوا : حدثنا علي بن مهران المطار ، حدثنا عن الملك بن أبي كريمة عن سفيان الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » وذكر الحديث بطوله .

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً . فإما أن يكون هو المحفوظ ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم . والله أعلم .

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره فى الدخول ، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم السبعمائة ألفاً ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والنفى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرّب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ، ولم يكن له تلك الأعمال ، ولا سيما إذا شاركه النفى فى أعماله وزاد عليه فيها . والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان ، مزية سبق ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ، ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب مقتضى للأمرين أو لاحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أصناف أهل الجنة الذي ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفیظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) (١) .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فإن الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كيف أذاهم عن الناس بحبس الفیظ بالسكظم ، وحبس الانتقام بالمغو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم ، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله وذلك حالهم مع خلقه ، وقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (٢) ، فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ، فلا مطعم لمن خرج عن طريقهم فيها . وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقومون الصلاة ومارزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (٣) فوصفهم بإقامة حقه باطنياً وظاهراً ، وبأداء حق عباده .

(١) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ - ١٣٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ - ٤ .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، إذهب فنناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » وللبخاري ممناه .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باللا ينادى في الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » وفي بعض طرقه ومؤمنة ، وفي الحديث قصة .

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار الجاشمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومى هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، وإنى خلقت عبداً حنيفاً كلهم وإنهم أنتم الشياطين فاجتالهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بمشك لا بتليك وأبتلى بك . وأنزلت عليك كتاباً لا يفصله الماء تقرأه نائماً ويقظان . وإن الله أمرنى أن أحرق قریشاً ، فقلت : رب إذا يثلغوا رأسى فیدعوه خبزاً ، قال استخرجهم كما أخرجوك وأغزهم نعنك ، وانفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وقال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له الدين هم فيكم تبماً لا يبنون فيكم أهلاً ولا مالا ، والخنائى الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ، ورجل لا يصبر ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل . أو الكذب والشنظير الفعاش ، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » .

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق قال : أنبأنا عبدالله ، أنبأنا موسى ابن علي بن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جمظري جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضمفاء المفلوبون » .

وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة : النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المعمر لا يزوره إلا لله في الجنة . ونساءكم من أهل الجنة : الودود الولود التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في بدزوجهما ثم تقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى » أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقي الحديث على شرطه .

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جمظري جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضمفاء المفلوبون » .

وقال ابن ماجه في سننه : حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أكرم قال : أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو هلال الرايسي ، حدثنا عقبة بن أبي ثبيت الراسي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة من ملائكة أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملائكة أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « مر بجنادة فأنق عليهما خير ، فقال نبي الله وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنادة فأنق عليهما شراً فقال : وجبت وجبت وجبت ، فقال عمر : فذاك أبي وأمي ، مر بجنادة فأنق عليهما خير فقلت : وجبت وجبت وجبت » .

وجبت : ومـر بمـنازلة فأثنى عليها شـر ، فقالت : وجبت وجبت وجبت ، ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنتم عليه شراً وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض .

وفي الحديث الآخر : « يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن وبالثناء السيئ » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)^(١) فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه .

الباب الثلاثون

في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشجرة بيضاء في نور أسود أو كشجرة سوداء في نور أبيض » هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « وكشجرة سوداء في نور أبيض » بغير ألف .

وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه الإمام أحمد والترمذي ، وإسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عباس ، وفي إسناده خالد بن يزيد البجلي .

وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذلك أكثر ، قال : كيف والشرط لكم ؟ قالوا : ذلك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، إلا الحرث بن خزيمة تفرد به عبد الواحد بن زياد .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن غنم ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبي هريرة قال : « لما نزلت (ثلثة من الأولين

وثلة من الآخرين^(١) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة . أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري .

وقال خزيمة بن سليمان القرشي : حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفي ، حدثنا حماد بن عيسى ، حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً » وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه صلى الله عليه وسلم رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله سبحانه رجاؤه ، وزاد عليه سدساً آخر .

وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبقى من أمق يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال : فكبرنا ، ثم قال : فأرجو أن تكونوا الشطر » وإسناده على شرط مسلم .

الباب الحادى والثلاثون

فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أبوب عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى تلبيها على أضواء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم » ، وما فى الجنة عزب ، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال ، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر .

والظاهر أنهم من الحور العين لما رواه الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » .

فإن قيل : فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة ، ثم خطب بمد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة . قال : فجلمات المرأة تلقى خاتمها ، وخرصها والشئ كذلك ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فجمع ما هناك ، قال : إن منكن فى الجنة ليسير ، فقالت امرأة : يا رسول الله ، لم ؟ قال : إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن المشير » .

وفى الحديث الآخر : « إن أقل ساكنى الجنة النساء » .

قيل : هذا يدل على أنهم إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى

خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، ففساء الدنيا أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار .

وأما كونهن أكثر أهل النار ، فلما روى البخارى في صحيحه من حديث
عمران بن حصين قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلمت
في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها
الفقراء »

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء ، واطلمت في النار فرأيت أكثر
أهلها النساء » .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلمت في الجنة
فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

وفي المسند أيضاً من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء . واطلمت في النار فرأيت
أكثر أهلها الأغنياء والنساء » .

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار،
فقلت امرأة منهن خذلة : ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن
اللعن ، وتكفرن المشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منككن ،
قالت : يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين
تمدل بشهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمسكت الأيام لا تصلى وتفطر ، فهذا
نقصان الدين »

وأما كونهن أقل أهل الجنة ، ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله : أنه

كانت له امرأتان ، فجاء من عند إحداها ، فقالت الأخرى جئت من عند فلانة ، فقال : جئت من عند عمران بن حصين ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أقل ساكني الجنة النساء » .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي ، حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل ابن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في طائفة من أصحابه ، نذكر حديثاً طويلاً وفيه : « فیدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله تعالى ، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله في الدنيا » وذكر الحديث .

قيل : هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل ابن رافع ، وقد ضمنه أحمد ويحيى وجماعة ، وقال الدارقطني وغيره : متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها مما فيه نظر .

وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال : سمعت محمداً يقول فيه : هو ثقة مقارب الحديث .

قلت : ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ، وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدرى من هو ؟ .

وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها . قال : فما لدخل الشعب فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان ، فإذا نحن بفرسان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المقار والرجلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغرابان » والأعصم من المربان الذي في جناحه

ريشة بيضاء ، قال الجوهري : ويقال هذا كقولهم : ألبق المقوق ، ويبض
الأنوق ، لكل شيء يمز وجوده .

وفي النهاية : الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين ، وقيل الأبيض الرجل ،
أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف في الغراب قليل عزيز .

وفي حديث آخر : « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم . قيل : وما الغراب
الأعصم يا رسول الله ؟ قال : الذي إحدى رجليه بيضاء »

وفي حديث آخر : « عائشة في النساء ، كالغراب الأعصم في الغرابان » .

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سفيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعمون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة . »

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعمون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه هي الزمرة الأولى ، وهم يدخلونها بغير حساب .

والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لمسلم ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشام ، أنبأنا خفيف بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : « أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما إنني لم أكن في صلاة ولكنني لدغت . قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم الشعبي ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة ، فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الزهط ، والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقبل لي : هذه أمتك ومعهم سبعمون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض (٩ - حادي الأرواح)

فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : لعلمهم الذين يحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : فلعلمهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطهرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، وليس عند البخارى لا يرقون .

قال شيخنا وهو الصواب ، وهذه اللفظة وقعت مقعمة في الحديث ، وهى غلط من بعض الرواة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب ، وهو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقهم ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيرهم ، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث « الطيرة شرك » .

قال ابن مسعود : وما منا إلا من تطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل ، فالتوكل ينافي التطير ، وأما رقية العين ، فهى إحسان من الراقى قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن في الرقى وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك ، واستأذنه فيها فقال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » ، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان ، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله ، فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك .

فإن قيل : فمأشئة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقا ، أجل ، ولكن هو لم يسترق ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل : ولا يرقهم راق ، وإنما قال : لا يطلبون من أحد أن يرقهم ، وفي امتناعه صلى الله عليه وسلم أن يدعو للرجل الثانى سد لباب الطلب ، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله . والله أعلم .

وفي صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمق سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ، قيل : ومن هم ؟ قال : هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر حديثاً طويلاً ، وفيه فتنجد أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك » ، وذكر تمام الحديث .

وقال أحمد بن منيع في مسنده : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرضت على الأمم بالموسم فترأيت على أمق ثم رأيتهم فأعجبت كثيرهم ، وهيتهم قد ملؤا السهل والجبل ، فقال : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت منهم ، فقام رجل آخر ، فقال : سبقك بها عكاشة » ، وإسناده على شرط مسلم ،

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي » .

قلت : وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه ، فأما تدليسه فقد قال الطبراني : حدثنا أحمد بن المولى الدمشقي والحسين بن إسحق التستري قالا : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : أخبرني محمد بن زياد الإلهاني قال : سمعت أبا أمامة فذكره ، وأما ضعفه فإنما هو في غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه .

قال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسام ، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، قال يزيد ابن الأختلس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر في الذباب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن الله وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً وزاد في ثلاث حثيات » .

قال أبو عبد الله المقدسي أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي شيخ البخاري ، ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني . وما علمت فيه جرماً :

قال الطبراني : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن

سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عامر بن يزيد البسكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات ، فكبر عمر ، وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آباءهم وأبنائهم وعشائهم وأرجو أن يحماني الله في إحدى الحثيات الأواخر » قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد : لا أعلم لهذا الإسناد علة .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عبد الله بن عامر بن قيس السكندی أن أبا سعيد الأنباري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه ، قال ابن قيس : فقلت لأبي سعيد : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم بأذني ووعاه قلبي ، قال أبو سعيد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمي ، ويوفى الله عز وجل بقيته من أعرابنا » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنباري إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية ابن سلام . وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده ، وفيه قال أبو سعيد : « حسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أربع مائة ألف ألف وتسعمائة ألف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمي » .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن صالح بن الوليد الترسى ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني قالا : أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدني أن يدخل من أمقي ثلاثمائة ألف الجنة ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا فقال : هكذا بيده ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا ، فقال عمر : حسبك يا عمير ، فقال : مالنا ولك يا ابن الخطاب ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة ، فقال عمر : إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحمئة واحدة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » قال محمد بن عبد الواحد : لا أعرف لعمير حديثاً غيره .

وفي الحلية من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمقي الجنة مائة ألف ، فقال أبو بكر : يا رسول الله زدنا ، قال : وهكذا وأشار سليمان حرب بيده كذلك قال : يا رسول الله زدنا ، فقال عمر : إن قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي ، وفيه ضعف تفرد به ، أبو هلال الرازي بصري واسمه محمد بن سليمان .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمقي أربعمائة ألف ، قال أبو بكر : زدنا يا رسول الله ، قال : وهكذا وجمع بين يديه قال : زدنا يا رسول الله قال وهكذا ، فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ! ! فقال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة واحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » تفرد به عبد الرزاق .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر ابن السري السلمي ، حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أمقي سبعون ألفاً قالوا : زدنا يا رسول الله فقال : وهكذا وحتى بيده ، قالوا : يا نبي الله ، أبعد الله من دخل النار بعد هذا » قال محمد بن عبد الواحد

لا أعلمه ، روى عن أنس بهذا الطريق ، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال :
 صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقموا في قبضته الأولى سبعانه يوم القبضتين .

فإن قيل : فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد
 المذكور ؟ قيل : الرب سبعانه وتمالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم ،
 وقد روى أنهم كانوا كالذر ، وأما يوم الحثيات ، فيكونون أتم ما كانوا خلقه
 وأكل أجساماً ، فناسب أن تعدد الحثيات بكلتا اليدين . والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا : أنبأنا زهير ، حدثنا سميد الطائي ، حدثنا أبو مدله مولى أم المؤمنين سمع أباه ريرة يقول : « قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبنا الدنيا وشمعنا النساء والأولاد ، قال : لو تسكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذبذبا لعجز الله بقوم يذنبون كي يفقر الله لهم ، قال قاتنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، ومن يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على المنام ، وتفتح لها أبواب السموات ، ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين . »

وروى أبو بكر بن مردويه عن حديث الحسن عن ابن عمر قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجنة فقال : من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، قيل : يا رسول الله كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران .

وكذلك روى عن يزيد بن زريع ، حدثنا سميد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك » .

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال : « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ الأولو ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المعراج .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء مسك خالص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق » ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة عن الحريري ، عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » .

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد قد غلب أصحابك اليوم ، قال : وبأى شيء غلبوا ؟ قال : سألهم اليهود كم عدد خزنة النار ، فقالوا : لا ندرى ، حتى نسأل نبينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون . فقالوا حتى نسأل نبينا ؟ ! ! ! ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة ، على بأعداء الله فإني سألهم عن تربة الجنة وأنها درمكة ، فلما أن جاؤوه قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه كاتيم ما هكذا وهكذا ، وقبض واحدة أى تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تربة الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمة » .

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تمارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنعوين : المسك والزعفران . قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن أبي عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : قال معتب بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين : .

أحدهما : أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين

يسمى تراباً ، ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر : ملاطها المسك ، والملاط الطين ، ويدل عليه أن في حديث الملاء بن زياد : « ترابها الزعفران وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا .

المعنى الثانى : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون ، بهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الحيز للصافي الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة و ترابها المسك ، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم بن الميث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور ، وقد أحاط به المسك مثل كتبان الرمل ، فيها أنهار مطردة ، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة ، فتهبج عليهم ريح المسك ، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً فنقول : لقد خرجت من عندى وأنا بك ممعجة ، وأنا بك الآن أشد إعجاباً » .

وقال ابن أبى شيبة : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا على بن صالح عن عمر ابن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال : « قيل يا رسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت و ترابها الزعفران » .

وقال أبو الشيخ : حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل ، حدثنا سميد الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبنائها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، و ترابها الزعفران ،

وحصباها الأولو، ثم قال لها: تسكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت اللاتسكة:
 طوبى لك منزل الملوك .

وقال أبو الشيخ: حدثنا عمرو بن الحسين، حدثنا أبو علاثة، حدثنا ابن
 جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: « قلت ليلة أسرى بي يا جبريل إنهم سيسألونني عن الجنة؟ قال: فأخبرهم أنها
 من درة بيضاء وأن أرضها عقيان » والمقيان: الذهب، فإن كان ابن علاثة حفظه
 فهي أرض الجنتين الذهبيتين، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما.
 والله أعلم.

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي : أنبأنا كثير بن هشام ، حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزى إلى الله البياض ، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم ، ثم أمر برعاء النساء فجمعت ، فقال : من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء ، فجاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو ، قال : عفرى » وقوله : (عفرى) أى يبيض .

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد ، حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه : « إن الله خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب اللون إلى الله البياض ، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » ،

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » ،

وروينا من طريق البخارى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن الهالك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله ابن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال : « يا ابن عباس ، ما أرض الجنة ؟ قال : مرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت : فما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير » وذكر الحديث . وسيأتى إن شاء الله تعالى .

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث ، وقال : « وتحتبس الشمس والقمر

فلا يرون منهما واحداً ، قال : قلت يا رسول الله فهم نبصر ؟ قال : مثل بُصرِكَ في ساعتِكَ هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أُشرقته الأرض وواجهته الجبال .

وفي سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المافري ، عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب السكمة نور يتلأل ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، ونمرة اضيعة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : قولوا إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله . »

الباب السادس والثلاثون

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

قال الله تعالى : (لکن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ^(١))
فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لثلاث تنوهم النفوس أن ذلك تمثيل
وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض ، حق
كأنها ينظر إليها عياناً ، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية ، أى لهم منازل مرتفعة
وفوقها منازل أرفع منها ، وقال تعالى : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) ^(٢) ،
والغرفة جنس كالجنة ، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الاقوال المتضمنة
للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء
خطاب الجاهلين لهم ، فبدلوها بذلك سلام الله وملائكته عليهم .

وقال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى إلا من آمن
وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) ^(٣) ، وقال
تعالى : (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن
طيبة في جنات عدن) ^(٤) ، وقال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : (رب ابن
لى عندك بيتاً فى الجنة) ^(٥) .

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن
سميد ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لغرفاً
يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابى فقال : يا رسول الله ،
لمن هى ؟ قال : لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس

(١) سورة الزمر آية ٢٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ٧٥ .

(٣) سورة سبأ آية ٣٧ .

(٤) سورة الصف آية ١٢ .

(٥) سورة التحريم آية ١١ .

نيام ، قال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق .

وقال الطبرانى : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، قال : حدثني أبو معانق الأشعرى ، حدثني أبو مالك الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة غراً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » .

وقال ابن وهب : حدثنا حي عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة غراً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، قال أبو مالك الأشعرى : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » .

قال محمد بن عبد الواحد ، وهو عندى إسناد حسن ، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته ، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن ، وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق عن صحته : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون السكوك الغابر من الأفق » .

وفي الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » ، وقوله في حديث أبى موسى : « يقول عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده : ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ،

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة « أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يبشرها

ببيت في الجنة ، من قصب لا صخب فيه ولا نصب » والقصب ههنا : قصب اللؤلؤ
المجوف .

وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ،
عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « إن في الجنة لقصرأ
من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم » ،

وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من
قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا لعمر بن الخطاب » وهو فيما
من حديث جابر ولفظه : « فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب » وقد تقدم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا شعجاع بن الأشرس قال : سمعت عبد العزيز بن
أبي سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال :
لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأي قريش ؟ قال : لعمر بن
الخطاب » وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه . والله أعلم .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم
عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال : إن الجنة قصوراً
من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً
من زبرجد . وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ، قال : إن أدنى أهل
الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها .

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر ، حدثنا بن قيس اللاتئ عن عطاء
ابن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في
الجنة لقرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، وإذا كان خلفها لم يخف

عليه ما فيها ، قيل : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وواصل الصيام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام ، قال : وما طيب الكلام ؟ قال : سبّحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنها تأتي يوم القيامة ، ولها مقدمات ومعقبات ، قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه . قيل : وما إطعام الطعام ؟ قال : من قات عياله وأطعمهم ، قيل : وما إفشاء السلام ؟ قال : مصافحة أخيك وتحيته ، قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : صلاة العشاء الآخرة » قال حفص بن عمر : هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب . فيما أعلم .

قلت : هذا يلقب بالكفرة - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد بن غالب تتمام وعلي بن حرب وهما ثقتان ، ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد . والله أعلم :

وفي فوائد ابن السكّات : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال : سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم بفرف الجنة ؟ قال : قلنا : بلى يا رسول الله بأيننا أنت وأمننا ، قال : إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر ، كله يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنهما من ظاهرها ، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، قال : قلنا : يا رسول الله ، لمن هذه الغرف ؟ قال : لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، قال : قلنا : يا رسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ قال : أمتي تطيق ذلك ، وسأخبركم عن ذلك : من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ، ومن كل شهر ثلاثة أيام ، فقد أدام الصيام ، ومن صلى صلاة العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام - لليهود والنصارى والمجوس » وهذا الإسناد وإن كان لا يحتاج به وحده ، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين .

الباب السابع والثلاثون

في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى : (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم)^(١) قال مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ما كانوا منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً ،

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : « هم أعرف بمنازلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم » ، وقال محمد بن كعب : يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا ، إذا انصرفتم من يوم الجمعة . هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أى بينها لهم حق عرفوها من غير استدلال .

وقال مقاتل بن حيان : بلننا أن الملك الموكل بمحفظ بنى آدم يمشى في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه ، كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه . وقال سلمة بن كهيل : طرقها لهم . ومعنى هذا : أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها .

وقال الحسن : وصف الله الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها . وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا ، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم ، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً في الآخرة هذا كله إذا قيل إنه من التعريف .

وفى قول آخر : إنه من العرف وهو الرائحة الطيبة ، وهذا اختيار الزجاج ، أى طيبها . ومنه طعام معرف أى مطيب .

وقيل : هو من العرف ، وهو التابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها ، والقول

هو الأول ، وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتمناه إلى غيره .

وفي صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى سعيد الخدرى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » .
وفي سند آخر من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى بهمنى بالحق ما أتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة » .

الباب الثامن والثلاثون

في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً)^(١) وقال تعالى : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)^(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد بن موسى المصلي ، حدثنا يحيى ابن سليم الطائفي ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله المكي ، حدثنا أبو عبدالله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث عن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)^(٢) قال : قلت يا رسول الله ، ما الوفا إلا ركب ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب ، شرك نملهم نور يتلأل كل خطوة منها مثل مد البصر ، ويدتهون إلى باب الجنة ، فإذا حاقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النسيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشمت أشعارهم أبداً ، فيضربون الحلقة بالصفيحة ، فلو سمعت طنين الحلقة فيبأنخ كل جوراء أن زوجها قد أقبل فلستخفها المعجلة فتبع قيمتها فيفتح له الباب ، فلو أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر ساجداً لما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيمك الذي وكلت بأمرك ، فيتمه فيقفو أثره ، فيأتي زوجته فلستخفها المعجلة فتخرج من الخيمة فتعانه وتقول : أنت حبى وأنا حبك ، وأما الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً ، والحالدة فلا أظمن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقنه مائة ذراع مبنى على جندل الأولو والياقوت طرائق حمر

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة مريم آية ٨٥ .

وطرائق خضر وطرائق صفر ، ما منها طريقة تشاكل صاحبها ، فيأتى الاريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليهم سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن في مقدار ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تمصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فإذا اشتبوا الطعام ، جاءتهم طيور بيض ، فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاؤوا ، ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية ، إذا اشتبوا انشعب النصف إليهم ، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا ، إن شاء قائماً وإن شاء متكئاً ، وذلك قوله عز وجل : (وجنى الجنة دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ « هذا حديث غريب ، وفي رفعه نظر ، والمعروف أنه موقوف على على ، وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عمر بن سامان ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان ابن سمع في هذه الآية : (يوم نحشر للمتقين إلى الرحمن وفداً) (١) . قال : « أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا يكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلاً ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة » .

وقال على بن الجهم في الجعديات : أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة عن على قال : « يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عيران تجريان ، فعمدوا إلى إحداها كأنما أمروا بها فشربوها منها ، فأذهبت ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلن تشرب أبشارهم أو تغير بعدها أبداً ولن تشمت أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزانة الجنة فقالوا : سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين . قال : ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من السكرامة . كذا قال ، ثم

ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فنقول : أنت رأيتة ؟ فيقول : أنا رأيتة ، وهو ذا بأثرى ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه ، فإذا جنبد اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ، فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لآلم أن يذهب يصصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه ، وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ، فنظروا إلى تلك النعمة ، ثم اتسكوا وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ثم ينادى مناد : تحيون فلا تموتون أبدا ، وتقيمون فلا تظنمون أبدا ، ولصحبون فلا تمرضون أبدا .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم وحلى حلبيهم ، ورأى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغي أن يموت لآلت من سوار فرحه ، فيقال له : أرايت سوار فرحتك هذه ، فإنها قائمة لك أبدا . »

قال ابن المبارك ، وأخبرنا راشد بن رعد : أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبي عبد الرحمن الجبلى قال : « إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ . »

قال ابن المبارك ، وأنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثنى عبيد الله بن زحر ، عن محمد بن أبي أيوب الخزومى ، عن أبي عبد الرحمن المافرى قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سمطان لا يرى طرفاهما من غلمايه ، حتى إذا مر مشوا وراءه . »

وقال أبو نعيم : أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال : « إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذه به فى سلكها ، فيقول له : انظر ما ترى ؟ قال : أرى أكثر

قصور رأيها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس . فيقول له الملك : فإن هذا أجمع لك ،
 حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ، ومن كل مكان يقولون : نحن لك ،
 ثم يقول : امش ، فيقول : ماذا ترى ، فيقول : أرى أكثر عساكر رأيها من
 خيام وأكثر أنيس ، قال : فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا :
 نحن لك نحن لك .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « ليدخلن الجنة من أمق سبعون ألفاً أو سبعائة ألف متمسكون آخذ بعضهم
 بيمض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم وبقدر أسنانهم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال له : اذهب فسلم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوونك ، فإنها تحيتك وتحيمة ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً ، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن » متفق على صحته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون وعفان بن مسلم قالا : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جرماً مردأً أيضاً جماداً مكحليين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد .

وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرماً مردأً مكحليين أبناء ثلاث وثلاثين » قال هذا حديث حسن غريب .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال : حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هرون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في يولد ثلاث وثلاثين سنة جرماً مردأً مكحليين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفتنى شبابهم » .

وقال الترمذى : حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن ابن سعد عن عمرو بن الحارث أن ذراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً . وكذلك أهل النار » فإن كان هذا محفوظاً لم ينافض ما قبله ، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هشام ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، مرد مكحولون » .

وقال ابن وهب : حدثنا معاوية بن صالح ، عن عبد الوهاب بن بخت ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً ، وعلى ذلك قطعت سرهم » .

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة . وأما الأخلاق فقد قال تعالى : (وزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين)^(١) ، فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم . وفي الصحيحين : « أخلاقهم على خالق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء » والرواية على خلق - بفتح الحاء وسكون اللام - والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد : تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء ، وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أول زمرة تلج الجنة » الحديث .

وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباعض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ،
يسبحون الله بكرة وعشية ، وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهم آتواب .
أى : فى سن واحدة ليس فيهن المجاوز والشواب ، وفى هذا الطول والمرض والسن
من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات ؛ لأنه أكمل سن القوة
مع عظم آلات ، وباجتماع الأمرين يكون كال اللذة وقوتها ، بحيث يصل فى اليوم
الواحد إلى مائة عذراء ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، ولا يخفى التناسب الذى بين
هذا الطول والمرض ، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأت الاعتدال وتناسب الخلقة ،
يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر ، كلاهما غير مناسب ، والله أعلم .

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ،

أعلامهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تمالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات)^(١) ، قال مجاهد وغيره : منهم من كلم الله موسى ، ورفع بعضهم درجات ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي حديث الإسراء المتفق على صحته : أنه صلى الله عليه وسلم ، لما جاوز موسى قال : « رب أظن أن ترفع على أحدا » ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى :

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم للوذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

وفي صحيح مسلم من حديث للغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، قال : رب فأعلامهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليهم فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » :

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا شاذان عن إسرائيل عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة أن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها نظرة) ^(١) قال : وقد روى هذا الحديث من غير وجه ، عن إسرائيل ، عن ثوير ، عن ابن عمر غير مرفوع . قال : ورواه عبد الملك بن أبيجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر موقوفاً ، ورواه عبد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه . قلت : ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية : عن عبد الملك بن أبيجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر مرفوعاً : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسريره وخدمه » الحديث . ورواه أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال إسرائيل : لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن هو ابن موسى ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا أبو الأشعث الضرير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلثمائة خادم ويندى عليه وراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه ، قال : إلا من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر ، وإنه ليلد أوله كما ولد آخره ، وعن الأشربة بثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليلد أوله كما ولد آخره ، وإنه ليقول : يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من المحور العين ثلاثين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » .

قلت : سكين بن عبد العزيز ضعفه اللسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منسكركم يخالف الأحاديث الصحيحة ، فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض . والذي في الصحيحين ، في أول زمرة

تألف الجنة : لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين ، فكيف يكون لأدناهم
اثنان وسبعمون من الحور العين ؟ وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا ، فكيف يكون
لأدنى أهل الجنة جماعة منهن ؟ وأيضاً فإن الجنة الدهيتين أعلى من الفضيتين ؟
فكيف يكون أدناهم في الدهيتين ؟

قال الدولابي : شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس ، وقال ابن عون
ابن حوشب : شهر أتركوه ، وقال النسائي وابن عدي : ليس بالقوى ، وقال
أبو حاتم : لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعد ، وهذان من أعلم الناس بالحديث ،
ورواته وعلاه ، وإن كان غير هؤلاء ، قد وثقه وحسن حديثه ، فلا ريب أنه إذا
انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل . والله أعلم .

الباب الحادى والأربعون

فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال : « كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء خبر من أخبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعنى ؟ فقات : ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمداً الذى سماني به أهلى ، فقال اليهودى : جئت أسألك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينفعك بشيء إن حدثتك ؟ فقال : أسمع بأذنى ، فنهكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمودعه ، فقال : سل ؟ فقال اليهودى : أين تسكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس أجازة يوم القيامة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودى : فما تحفهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ، قال : فما غذاؤهم على أرضها ؟ قال : ينحرح لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : أينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمعك بأذنى ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى للمرأة أذكرا بإذن الله تعالى ، وإن علامنى المرأة منى الرجل آتيا بإذن الله تعالى ، قال اليهودى : لقد صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتنى عنه ومالى علم بشيء منه ، حتى آتاني الله عز وجل به . »

وفى صحيح البخارى عن أنس قال : « سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو فى أرض يخترق ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : « إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهن جبريل آنفاً ، قال : جبريل ؟ قال نعم ، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)^(١) أما أول أشراط الساعة : فنار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعملوا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال : أي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أفرأيت إن أسلم عبد الله ؟ فقالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم ؟ قال : أدامهم بالآدم والنون قال : وما هذا ؟ قال : نور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن أبا الخير أخبره ، أن أبا العوام أخبره ، أنه سمع كعباً يقول : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : ادخلوها إن لكل ضيف جزورا ، وإنى أجزركم اليوم ، فأتى بشور وحوت ، فيجزر لأهل الجنة .

الباب الثاني والأربعون

في ذكر ربح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبراني : حدثنا موسى بن حازم الأصماني ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن الحسن بن عمرو ، عن مجاهد ، عن جنادة ، عن أبي أمية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وأن ربحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري في الصحيح ، عن قيس بن حفص ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة . وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معدي بن سليمان هو البصري . عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يروح رائحة الجنة ، وإن ربحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » .

قال : وفي الباب عن أبي بكرة وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد ابن عبد الواحد وإسناده عندي على شرط الصحيح .

قلت : وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة يرفعه : « من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ربح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن قتادة ، عن الحسن أو غيره ، عن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ربح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » ، وهذه الألفاظ لا تمارض بينها بوجه .

وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس قال : « لم يشهد عمى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بديراً ، قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، فإن أراى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، قال : فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له : أين أقال : واهل لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بينانه ، ونزلت هذه الآية : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (١) . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه » وريح الجنة نوعان : ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد ، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذى وجدته أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . والله أعلم .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا محمد بن أحمد المؤذن ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ، أنبأنا الربيع بن بدر ، وحدثنا هرون بن رباب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ابن طريف ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى

إلى غير آية، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجاً منها من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهة ، والمناظر البهية ، والفاكهة الحسنة . والنعيم والسرور ، وقرّة العين .

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل للجنة : طيبي لأهلك فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك ، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة ، قال تعالى في هذه النار : (نحن جعلناها تذكرة)^(١) وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم ؛ فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها . والله المستعان .

الباب الثالث والأربعون

في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » ، وذلك قول الله عز وجل : (ونودوا أن تترككم الجنة أو ترموها بما كنتم تعملون)^(١) . قال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي إسحق ، عن الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (ونودوا أن تترككم الجنة أو ترموها بما كنتم تعملون) قال : نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً ، واخلدوا فلا تموتوا أبداً ، وانعموا فلا تبأسوا أبداً » .

وفي صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً ، يقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا أبو بكر الالهاني ، أخبرني أبو تميم المجيف ، قال : سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملساً إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار ، والأزواج المطهرة فيقولون :

نعم ، قد أنجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون
مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي شيء ، إن الله يقول (للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة) (١) : ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله .

وفي الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم
نعمط أحد من خلقك ، فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، قالوا : ربنا وأى شيء
أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » ومن
تراجم البخارى عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة : وسيأتى فى هذا أحاديث
نذكرها فى باب معقود لذلك إن شاء الله .

وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم
فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وهذا
الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ، ولهم فيها نداء
آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملائكة ، فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون
إلى الزيارة ، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها ، وذلك فى مقدار يوم الجمعة ، كما سيأتى
مبيناً فى باب زيارتهم الرب عز وجل . والله أعلم .

الباب الرابع والأربعون

في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة) (١)، وقال تعالى: (ذواتا أفنان) وهو جمع فنان وهو الفصن، وقال: (فيها فاكهة ونخل ورمان).

والخضود: الذي قد خضد شوكة أى نزع وقطع، فلا شوكة فيه. هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة. واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداها: أن الخضد في اللغة القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكة فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد، على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وساب، والخضاد شجر رخو لا شوكة فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد ابن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن السلمي قال: «كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعني الطلح - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التمس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض، وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقولون إن شاء الله لينفعنا بالأعراب ومساكنهم ، أقبل أعرابي يوماً ، فقال : يا رسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هي ؟ قال : السدر ، فإن له شوكاً مؤذياً . قال : أليس الله يقول : في سدر مخضود ؟ !! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة « وقالت طائفة : المخضود هو : الموقر حملاً . وأنكر عليهم هذا القول وقالوا : لا يعرف في الائمة الخضد بمعنى الحمل ، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول ، بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه ، وجعل مكان كل شوكه ثمرة أوقرت بالحمل . والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : الخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه ، فسرّه بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراد تارة ، ومثلاً من أمثله فيحكىها الجماعون للفت والسمين أقوالاً مختلفة ، ولا اختلاف بينها .

فصل

وأما الطلح ، فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة اللوز . قال مجاهد : أعجبهم طلع وج وحسنه ، فقل لهم : « وطلع منضود » وهذا قول علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال ، وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب ، قال حاديهم :

بشرها دليلها وقال غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة : هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز ، وقال مسروق : ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجري من غير أخذود .

وقال الليث : الطلح : شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم المضاه
شوكا وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم
غيلان ، لأن له نوراً طيب الرائحة جداً ، فوعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على
ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا ، فإنه ليس في الجنة عما في
الدنيا إلا الأسمى ، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز ، إنما أراد التثيل
به لحسن نضده ، وإلا فالطلح في اللغة : هو الشجر العظيم من البوادي والله أعلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها ، فاقروا إن شئتم ، وظل ممدود » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
لا يقطعها » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقال : حدثني
أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير
الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة عن أبي
الضحاك ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة ، هي شجرة جنة الخلد » .

وقال وكيع : حدثنا إسماعيل بن أبي خالده ، عن زياد مولى بني مخزوم ، عن
الزهري ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود ، فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق ، والذي
أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، لو أن
رجلاً ركب جذعة أو جذعاً ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى
يسقط هرمها ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سورة الجنة ،
وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة » :

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : « الظل الممدود : شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال فيشتم بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤا إن شئتم : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ^(١) ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ^(٢) » ، رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه وصدره في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن شئتم فاقرؤا (وظل ممدود وماء مسكوب) ^(٣) » وقال ابن أبي وهب : حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : « قال رجل يا رسول الله ، ما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكلها » ، وقد رواه عنه حرمله بزيادة وقال : أخبرني ابن وهب ، أخبرني عمرو ، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد

(١) سورة السجدة آية ١٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٣) سورة الواقعة آية ٣١ .

الحدرى « أن رجلاً قال: يا رسول الله ، طوبى لمن آراك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال رجل : يا رسول الله ، وما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها . »

قلت : وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات . »

وقال ابن المبارك : حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرهها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقدماتهم وحلهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم . »

وقال الإمام أحمد بن علي : حدثنا بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد الكلى أنه سمع عتبة بن عبد السامى يقول : « جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابى : فيها فاكهة ؟ قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ؟ فقال : أى شجرة أرضنا تشبهه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيت الشام ؟ قال : لا ، قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تلبث على ساق واحد وينقرش أعلاها ، قال ، ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنسكر ترقتها هراماً ، قال : فيها غنم . قال : فما عظم المنقود . قال : مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر ، قال : فما عظم الحبة . قال : هل ذبح أبوك تيساً من غنم قط عظيماً ؟ قال : نعم ، قال فما بلغ أهابه فأعطاه أمك ، وقال لها : اتخذي لنا منه دلوأ ؟ قال : نعم ، قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى ، قال : نعم وعامة عشيرتك . »

قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد وابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير فى ظل الفتن منها الراكب مائة سنة ، أو

قال : يستظل في الفناء منها مائة راكب فيها ، فراش الذهب كأن ثمرها القلال
ورواه الترمذى وقال : شك يحيى وهو حديث حسن غريب .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا ابن عينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال :
« أرض الجنة من ورق وتراها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها
لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائماً لم يؤذه ، ومن
أكل جالساً لم يؤذه ، ومن أكل مضطجماً لم يؤذه ، وذلت قطوفها تذليلاً » .

وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبدالله قال :
« نزلنا الصفا ، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال :
فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله ، قال : فانطلق فأظله ، فلما استيقظ إذا هو
سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : يا جرير ، تواضع لله ، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم
القيامة ، يا جرير ، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري . قال : ظلم
الناس بينهم ، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصابعه ، فقال : يا جرير ، إذا طلبت
مثل هذا في الجنة لم تجده ، قلت يا عبد الله ، فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها
اللؤلؤ والذهب وأعلىها الثمر » .

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً ، ولهم أزواج مطهرة)^(١) .

وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة ؟

قيل : فيه قولان : فى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح : عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا الذى رزقناه من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قال مجاهد : ما أشبهه به ، وقال ابن زيد : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وقال آخرون : هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهاة بعضه بعضاً فى اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : ما حكاه ابن جرير عنهم قال : ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شئ عاد مكانه آخر مثله كما كان . حدثنا ابن بشار :

حدثنا ابن مهدي ، حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة ، وقال : كلما نزلت ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجة الثالثة : قوله : وأتوا به متشابهاً ، وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذي رزقنا من قبل .

الحجة الرابعة : إن المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رآوها ، ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر ، واحتجّت بوجوه . قال ابن جرير : والذي يحقق صحة قول القائلين : أن معنى ذلك هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا أن الله جل ثناؤه قال : (كلما رزقوا منها من مرة رزقاً) يقولون : هذا الذي رزقنا من قبل ، ولم يخص أن ذلك من قبلهم في بعض دون بعض ، فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قبلهم كلما رزقوا ثمرة ، فلا شك أن ذلك من قبلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ، فإذا كان لا شك أن ذلك من قبلهم في أوله كما هو من قبلهم في وسطه وما يتلوّه ، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذي رزقنا من قبل ، إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب ، الذي قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قبلهم الأول ، رزق يرزقونه من ثمارها في دفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب ، دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

قلت : أصحاب القول الأول يخصصون هذا العام بما عدا الرزق الأول ، للدلالة العقل والسياق عليه ، وليس هذا بيدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات :

أحدها : أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا ، لا يقال فيها ذلك .

الثاني : أن كثير من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة .

الثالث : أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلا أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذي رزقنا في الدنيا ، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب .

ومعناه : أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره ، ولا هو مما يعرض له ما يمرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً ، فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه ، والذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه ، والله أعلم .

وأما قوله عز وجل : (وأتوا به متشابهاً) قال الحسن : خيار كله لارذل ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل ؟ وقال قتادة : خيار لارذل فيه ، فإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها ، وكذلك قال ابن جريج وجماعة ، وعلى هذا ، فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : متشابهاً في اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم ، قال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذا قال الربيع بن أنس ، وقال يحيى بن أبي كثير « عشب الجنة الزعفران ، وكشبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون : هذا الذي جئتمونا به آنفاً ، فيقول لهم الخدم : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله عز وجل : (كلا رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)^(١) .

وقالت طائفة وناس معنى الآية : أن يشبه عمر الدنيا غير أن عمر الجنة أفضل وأطيب . قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءهم كما كانوا في الدنيا التفتاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وليس هو مثله في الطعم ، واختار ابن جرير هذا القول قال : ودليلنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذي رزقنا من قبل أى في الجنة ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله : وأتوا به متشابهاً . أن سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم ، هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً .

قلت : وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) وقال تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) ، وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها ، وقال تعالى : (وتلك الجنة التي أوردتهموها لما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة) (١) وقال تعالى : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تكون في وقت دون وقت ، ولا تمنع ممن أرادها وقال : (فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية) والقطوف : جمع قطف وهو ما يقطف ، والقطف ، - بالفتح - الفعل ، أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى : (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) (٢) ، قال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد ، وقال غيره : قريب إليهم مذللة كيف شاؤوا فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين ، فيكون كقوله : (قطوفها دانية) . ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله ، وأهل المدينة يقولون : ذلل النخل ، أى سوه عروقها وأخرجها من السمف حتى يسهل تناولها ، وفي نصب دانية وجهان :

أحدهما : أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين .

(١) سورة الزخرف آية ٧٣ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

والثاني : أنه صفة الجنة ، وقال تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وفي الجنة الآخرين (فيهما فاكهة ونخل وزمان) وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والاعناب في سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها . وقد قال تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات ومنفردة من ربهم) (١) .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن النسي ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ربحان بن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن إسماعيل عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عقبة بن مكرم العمي ، حدثنا ربعي بن إبراهيم بن علي ، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فمارك هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير » وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الجنة حق لو تناولت منها قطفاً أخذته » وفي لفظ : « فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدي » وقال أبو خيثمة : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال : « بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئاً شيئاً ليأخذه ، ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم بكم فحيل بيني وبينه ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يذوقونه » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، والين من الزبد ، ليس فيه عجم » .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا شريك عن أبي إسحاق البراء بن عازب قال : « إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال شاؤا » .

وقال البزار فى مسنده : حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى ، حدثنا عثمان بن سعيد ابن كثير بن دينار الحمصى ، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان ابن موسى قال : حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا مشعر للجنة فإن الجنة لا حظ لها ، هى ورب السكبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمررة فضيحة وزوجا حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبداً فى دار سليمة ، فأكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ، قال : قولوا : إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله » قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق ، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر .

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره : « قلت : يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وبقاكة لعمركم إلهك مما يملعون وخير مثله معه ، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة » قال الحسن وأبو العالوية : وهو ريحاننا هذا يؤتى بنفسن من ريحان الجنة فنشمه .

الباب السادس والأربعون

في زرع الجنة

قال تعالى : (وفيها ما تشبهه الأعين وتلد الأعين)^(١) ، وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له : أولست فيما اشتيت ؟ فقال : بلى ، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع ، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي : يا رسول الله ، لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً » فإنهم أحببوا زرع ، فأما نحن فأسأنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه في غيره أيضاً . وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً وذلك البذر منه » وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع .

فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه ؟ قيل : لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده ، وقد كان في غنية عنه « وقد كفى مؤونته ، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث . والله أعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : « بينما رجل في الجنة » فقال في نفسه : لو أن الله يأذن لي لزرعت ، فلا أعلم إلا الملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليكم يقول لك ربك : تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول : ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوقه عرشه : كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع » والله أعلم .

الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى : (جنات تجري من تحتها الأنهار) ، وفي موضع : (تجري تحتها الأنهار) ، وفي موضع : (تجري من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . الثاني : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو للمهود في أنهار الدنيا ، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وكان الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخذود فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله : (تجري من تحتها الأنهار) على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المسكن تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهار الجنة - وإن جرت في غير أخذود - فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال : (ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكانهم في الأرض ما لم نمسك لسكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم)^(١) ، فهذا على ما هو للمهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : (وهذه الأنهار تجري من تحتي)^(٢) ، وقال تعالى : (فيها عينان نضاختان) قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن يمان عن أشعب عن جعفر عن سميد قال « نضاختان بالماء والفواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،

(١) سورة الأنعام آية ٦

(٢) سورة الزخرف آية ٥١

وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من غسل مصفى ولهم فيها من الثمرات ومنفرة من ربهم (١) .

فذكر سبحانه هذه الاجناس الاربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فأفة الماء أن يأسى ويأجن من طول مكثه ، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وأفة الغسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخطود ، وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداق والغول واللغو والإزاف وعدم اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تنفك العقل ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو ، وتزرف في نفسها وتزرف المال ، وتصدع الرأس ، وهي كربة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصدع عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزي والتدانة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الاسماء والسمات ، وتسكسوه أقبح الاسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخذة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كما بدوثن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من فنة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الشر ، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ،

وجرت عليه من سقفة ، فهي جماع الإنعم ، ومفتاح الشر ، وسلاية النعم ، وجليلة
النعم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد ، كما
ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في
الآخرة » . لكفى .

وآفات الخمر أضفاف أضفاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى
لا يأسن ، فما فائدة قوله : غير آسن ؟

قيل : الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه آسن ،
وماء الجنة لا يمرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال ،

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم
وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا لذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم
ومنعهم . والله أعلم .

فصل

وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، كما
روى البخارى في صحيحه من حديث أنى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل
درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس ، فإنه وسط
الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تنفجر أنهار الجنة » .

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ
حديث عبادة : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس
أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والمرش ، فإن سألت الله فاسأله الفردوس
الأعلى » .

وفي المعجم للطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة » .

وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن قتادة قال : أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال حجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، ويخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث هام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بيننا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المخوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال : فضرب الملك يده فإذا طينه مسك أذفر » .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل » وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذا نهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر . فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل » .

قال الترمذي : حدثنا هناد ، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج » قال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر هو الرازي ، حدثنا ابن أبي نجيع عن عجماد : (إنا أعطيناك الكوثر)^(١) قال : الخير الكثير . وقال أنس بن مالك :

نهر في الجنة ، وقالت عائشة : هو نهر في الجنة ليس يدخل احد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ، وهذا معناه والله أعلم ؛ أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه .

وفي جامع الترمذي من حديث الحريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الحجر ، ثم تشقق الأنهار بعد » قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قره ، عن عبد الله بن سمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسقيه الله عز وجل من الحجر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، ومن سره أن يكسبه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » ،

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال : « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك » وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه في مسنده : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحرث بن عبيد ، حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الأنهار لشعب من جنة عدن في جوبة ، ثم تصدع بعد أنهاراً » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، حدثنا يزيد بن هرون ، حدثنا الحريري عن معاوية بن قره عن أس بن مالك قال : « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض ؟ لا والله إنها السائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والآخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر ، قلت : ما الأذفر ؟ قال :

الذى لاخاط له ، ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ، حدثنا مهدي بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكره هكذا رواه مرفوعاً .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك السكوتر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت السكوتر فإذا هو يجرى ولم يشق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » .

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى : (وماء مسكوب) قال : أنهار تجري في غير أخذود قال : (ونخل طامها هضم) قال : من أصلها إلى فروعها أو من كلمة نحوها .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا سعيد بن سابق ، حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حبان عن عكرمة ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهران العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم ، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في أصناف ما يشبههم ، فذلك قوله : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) (١) .

فإذا كافى عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن ، والهم كله ، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى

بما فيه ، وهذه الانهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ، فقد حرم أهلها خيري الدنيا والآخرة » ورواه أحمد بن عدى في ترجمة مسلمة ، هذا مع أحاديث غيره ، وقال عامة أحاديثه غير محفوظة ، وبالجملة فهو من الضمفاء . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك ، وقال أبو حاتم : لا تشتغل به .

وقال عبدالله بن وهب : حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهرا يقال له : البیدج ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البیدج فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية من مصمها فتتبعه » .

فصل

وأما الميون فقد قال تعالى : (إن المتقين في جنات وعيون) وقال تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا)^(١) ، قال بعض السلف : مهم قضيان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف في قوله يشرب بها .

فقال الكوفيون : الباء بمعنى من أى يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن . معنى يشرب بها : أى يروى بها ، فلما ضمنه معناه عداة تمديته ، وهذا أصح والطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية ، والمين اسم للسكان ، كما تقول : كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : (ومن يرد فيه يلحاد بظلم) ضمن معنى بهم فمدى تمديته وقال تعالى : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا)^(٢) فأخبر سبحانه عن المين الذى يشرب بها المقربون صرفا ، أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ،

(١) سورة الإنسان الآيتان ٥ و ٦ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٧ .

وهؤلاء مزجوا فزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مخموم ، ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسليم ، عينا يشرب بها المقربون) (١) ، فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرايين . ويجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراد ، ويمدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما اللطف موقع ذكر الكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن شرابهم مزج أولا بالكافور ، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيمدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنها نوعان للذيذان من الشراب . أحدهما : مزج بكافور . والثاني : مزج بزنجبيل ، وأيضا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وورده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف ، والإيثار ، والصبر ، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها ، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم . ولهذا قال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (٢) ، فإن في الصبر من الحشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سمة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والحشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم ، كما جلاوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ، وبواطنهم بمحقائق الإيمان ، ونظيره قوله في آخر السورة (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة) (٣) فهذه زينة الظاهر ، ثم قال : (وسقام ربهم شرابا طهورا) فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص . ونظيره قوله تعالى لا يبينهم آدم عليه السلام : (إن لك أن لا نجوع فيها ولا تهرى ، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحي) فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ، ولا ذل الظاهر بالهرى ، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ، ولا حر الظاهر بالضحي ، ونظير هذا ما عدده على عبادته من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سواتهم ، ويزين ظواهرهم ، ولباسا آخر يزين بواطنهم

(١) سورة المطففين الآيات ٢٢ - ٢٨ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٣) سورة الإنسان آية ٢١ .

وقلوبهم، وهو لباس التقوى ، وأخبر أنه خير اللباسين ، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد ، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة ، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ، ثم أخبر أن خير الزاد ، الزاد الباطن وهو التقوى ، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ، (فذلكن الذى لتنى فيه) فأرتهن حسنه وجماله ، ثم قالت : (ولقد راودته عن نفسه فاستمعصم)^(١) . فأخبرت عن بجمال باطنه وزينته بالمنة ، وهذا كثير فى القرآن لتأمله .

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى : (إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) (١) ، وقال تعالى : (فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم أقرأوا كتابي ، إني ظننت أني ملاق حسبي ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) (٢) ، وقال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) (٣) ، وقال تعالى : (وأمددناهم بغاكتهم ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) (٤) وقال تعالى : (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (٥) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يفتنطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسييح والتكبير كما تلهمون النفس » ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه : « قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كريح المسك ، يلهمون التسييح والحمد » .

وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش ، عن ثمامة بن عتبة عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليمطى قوة مائة رجل »

(١) سورة المرسلات الآيات ٤١ - ٤٣ .

(٢) سورة الحاقة الآيات ١٩ - ٢٤ .

(٣) سورة الرعد آية ٣٥ .

(٤) سورة الطور الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٥) سورة المطففين « ٢٥ و ٢٦ » .

في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بدنه .

ورواه الحاكم في صحيحه ولفظه : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ، ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ - ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصمته - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودي : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمير » .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتيه فيخرب بين يديك مشوياً » .

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام : في أول ما يأكله أهل الجنة وشراهم على أثره ، حديث أبي سعيد الخدري : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلاً لأهل الجنة » .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم ، حدثنا إبراهيم بن منذر ، حدثنا إدريس بن يحيى ، حدثني الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي ، فقال أبو بكر : إنها لناعمة يارسول الله ، قال : أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر » ،

قال الحاكم : أنبأنا الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، أنبأنا عبد الوهاب ابن عطاء ، أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى : (ولحم طير مما يشتهون) قال : ذكر لنا أن أبا بكر قال : « يارسول الله ، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال : من يأكلها أنعم منها ، وأنها أمثال البخاتي وإنى لاحتسب على الله

أن تأكل منها يا أبا بكر ، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) (١) ، قال : يطاف عليهم بسمعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى .

وقال الدراودي : حدثني ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في السكوتر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آكلها أنعم منها » تابعه إبراهيم بن سعيد عن ابن أخى عن ابن شهاب ، وقال : فقال أبو بكر بدل عمر .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : (وكأس من معين) يقول الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع ، وفي قوله تعالى : (ولا هم عنها ينزفون) يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى (وكأساً دهاقا) يقول ممتلئة ، وقوله : (رحيق مخنوم) يقول : الخمر ختم بالمسك : وقال علقمة عن ابن مسعود : (ختامه مسك) قال : خلطه وليس بخاتم ثم يخنم .

قلت : يريد - والله أعلم - أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله تعالى : (ختامه مسك) فقرأتها (خاتم مسك) فقال لي : ليست خاتمته ، ولكن أقرأه (ختامه مسك) قال علقمة : ختامه خلطه ، ألم تر أن المرأة من نسائك تقول للطيب : إن خلطه من مسك لكذا وكذا .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية عن الأعشى عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى : (ومزاجه من تسنيم) قال : تمزج لأصحاب

المين ويشربها للقربون صرفاً . وكذلك قال ابن عباس : يشرب منها القربون صرفاً ، وتمزج ابن دونهم .

وقال مجاهد : ختامه مسك يقول طيبة ، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير . ولفظ الآية أوضح منه . وكأنه والله أعلم ، يريد ما يبقى من أسفل الإناء من الدردى .

وذكر الحاكم من حديث آدم : حدثنا شيان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله (ختامه مسك) قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختصون به آخر شرابهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذرّ روح إلا وجد ريح طيبها .

قال آدم : وحدثنا أبو شبة عن عطاء قال : (التسنيم) : إسم المين الق يمزج بها الحجر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (وكأنساً دهاقاً) قال : هي التابعة المدتلة . قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وأدهق لنا . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً) وعلى قوله (ويسقون فيها كأنساً) كان مزاجها زنجبيلاً ، عيناً تسمى كلها سلسبيلاً ^(١) ، فقالت فرقة : سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل ، وسبيلاً منصوب على المفعول ، أى سل سبيلاً إليها وليس هذا بشيء ، وإنما الساسبيل كلمة مفردة وهي إسم للمين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد شقي قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة : سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا .

وهذا من الاشتقاق الأكبر ؛ وقال مجاهد : سلسلة السيل حديدة الجرية ، وقال أبو العالية : والمقابلان تسيل عليهما في الطرق ، وفي منارلهم ، وهذا سلاستهما وحدة جريتهما ، وقال آخرون : منهاها طيبة الطعم والمذاق . وقال أبو إسحاق : سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة ، فسميت المين بذلك .

وقال ابن الأنباري : الصواب في سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للمين ، واحتج على ذلك بحجتين إحداهما : أن سلسبيلاً مصروف ، ولو كان اسماً للمين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل في حلقهم انسلالاً .

قلت : ولا حجة له في واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآي له كظايره ، وأما قول ابن عباس ، فلنما يدل على أن المين سميت بذلك باعتبار صفة السلاطة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الحبز واللحم والفاكهة ، والحلوى وأنواع الاشربة من الماء واللبن والحر ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الاسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر . فإن قيل : فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى - (كن) وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة ، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإفضائه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإفضاج الثمر والطعام ، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مجامرهم الآلوة » و « الجامر » : جمع حجر ، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه و « الآلوة » : العود المطرى ، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه ، لتسقط لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلال ، والظلال لا بد أن تقيء مما يقابلها فقال (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) (١) وقال : (إن المتقين في ظلال وعيون) . وقال : (وندخلهم ظلالاً ظليلاً) فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والشبب ، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق ، الذي يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه ، وذاك سبب إفضائه ، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ، ويهيئه لخروجه رشحاً وحشاً ، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها

ويجمل سبحانه أوراق الشجر ظلها ، قرب الدنيا والآخرة واحد ، وهو الخالق
للاسباب والحكم ما يخلفه في الدنيا والآخرة ، والاسباب مظهر أفعاله وحكمته ،
ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب
غير الأسباب المهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر ، وذلك
محض الجهل والظلم ، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصورة عن أسباب آخر ،
ومسيب يلدئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسيباته ،
وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالميان والمشاهدة
أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب . ولعل إخراج هذه
الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة ، والماء والخشب والهواء المناسب لها ،
أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرت
ودم ، ومن قى ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب آخر ، ولعل إخراج
جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها
هناك أسباب آخر ، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز ، وبنائها على أنفسها
القباب البيض والحمر والصفر ، أحكم بناء أعجب من إخراجها من أكلم تنشق عنه
شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض
على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجلها آيات دالة على
كمال قدرته وعلمه ومشيشه وحكمته وملسه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية ،
ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار ، تجد هذه أدل
شئ على تلك ، شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ،
ومالك واحد ، فبمدا لقوم لا يؤمنون .

الباب التاسع والأربعون

في ذكر آيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) فالصحاف جمع صحفة قال السككي ، بقصاع من ذهب . وقال الليث : الصفحة قطعة مسلطة عريضة ما لجمع صحاف ، قال الأعشى :

والسكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال
وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفراء : الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له . وأنشد لمدى :

متكئاً تصفق أبوابه يسمى عليه العبد بالكوب
وقال أبو عبيد : الأكواب . الأباريق التي لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق :
واحد كواب وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هي الأباريق التي
ليست لها آذان ، وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

وقال البخاري في صحيحه : الأكواب : الأباريق التي لها خراطيم وقال تعالى :
(يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين) (١) الأباريق
هي الأكواب التي لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب .
وأبريق إفعيل من البريق ، وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل
ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً ، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير
يرى من ظاهرها ما في باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً لبريق لونه ، ومنه
قول ابن أحرر :

تعلفت إبريقاً وعلفت جفنه ليملك حياً ذا زهاء وخامل

(١) سورة الواقعة الآيتان ١٧ و ١٨ .

وفي نوارده اللحياني : امرأة إيريق إذا كانت براقة ، وقال تعالى : (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديراً)^(١) فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : (قواريرا من فضة) .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسكبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسرورها وفرشها وأكوابها يخالف لما في الدنيا من صنعة المباد ، كما قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء والأكواب في الدنيا ، قد تكون من فضة وتكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، قال : وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة ، وهذا كقوله تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان) ، أي لهن ألوان للرجان في صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة ، و « من » ههنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة ، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة ، بل جنسه ومادته الفضة ، بل ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير ، وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : (قدروها تقديراً) التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص ، فقدرت الصناعات هذه الآنية على قدر ربه لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وهذا أبلغ في لغة الشارب ، فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه ، ولو زاد حتى يشتم منه حصل له ملالة وسأمة من الباقي . هذا قول جماعة من المفسرين .

(١) سورة الإنسان الآيتان ١٥ و ١٦ .

قال القراء : قدروا الكأس على قدر رى أحدهم ، لا فضل فيه ولا عجز من
هرية ، وهو ألد الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعنى أن
الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى ، فلا يزيد عليه
فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطاب النفس الزيادة كما تقدم ، وقالت طائفة : الضمير
يعود على الشاربين ، أى قدروا في أنفسهم شيئاً فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه
وأرادوه ، وقول الجمهور أحسن وأبلغ ، وهو مستلزم لهذا القول ، والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق :
الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرايه . وللفسرون
فسروا الكأس بالجر ، وهو قول عطاء والسكبي ومقاتل ؟ حتى قال الضحاك : كل
كأس في القرآن ، فإعنا على به الجر . وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود : فإن
المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون إسماعاً للحال
والحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس . فإن النهر إسم الماء والحل معاً
ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية
مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً .

وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعرى : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة
آتيتهما وما فيهما : وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه
في جنة عدن » وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن في أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ،
والذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون

ولا يمتخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم للمسك . ومجامرهم الالوة ،
وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خاق رجل واحد . على صورة أبيهم آدم عليه
السلام ستون ذراعا في السماء .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تشرروا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم
في الآخرة » وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن
الغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا ،
فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه . فإذا أنفى عليه معروف كان
أعجب لرؤياه إليه . فأنته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت
من المدينة فأدخات الجنة . فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت . فإذا فلان ابن
فلان وفلان ابن فلان فسمعت اثني عشر رجلا . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم ، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا
بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح . فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر .
فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر ، فأكلوا من ذلك بسر ما شاؤا . فما يقلبونها من
وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرية
فقال : أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا . فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمرأة . فقال : قصي رؤياك فقصتها وجعلت تقول جىء بفلان وفلان كما قال »
رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليمهم ومنادياهم وفرشهم وبسطهم
ووسائدهم وعارقههم وزرايبهم

قال تعالى : (إن للتقين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) (١) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك) (٢) .

قال جماعة من المفسرين : السندس مارق من الديباج ، والاسـتبرق ماغلظ منه .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق .

وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس واتخاذ المين به ، وبين نمومته والتذاذ الجسم به ، وقال تعالى : (ولباسهم فيها حرير) .

وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير ، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » متفق على صحته ، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك . وقد اختلف في المراد بهذا الحديث ، فقالت طائفة من السلف والخلف : إنه لا يلبس الحرير في الجنة ، ويلبس غيره من الملابس ، قالوا : وأما قوله تعالى : (ولباسهم

(١) سورة الدخان الآيات ٥١ - ٥٣ .

(٢) سورة السكهف الآيتان ٣٠ و٣١ .

فيها حرير) فمن العام المخصوص. وقال الجمهور : وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد ، التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم . وقد يتخلف عنه لما نفع .

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية وللصائب المكفرة ودعاء المسلمين ، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه ، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظم الحديث الآخر من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة . وقال تعالى : (وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريراً) (١) وقال : (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) (٢) وتأمل ما دلت عليه لفظة (عليهم) من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجعل ظواهرهم ، ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال .

وقد اختلف القراء السبعة في نصب (عليهم) ورفعهم على قراءتين . واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال ، على قولين ، واختلف المفسرون : هل ذلك الولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون ، وعليهم ثياب السندس والإستبرق ، أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب ، وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع . فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه ، قال أبو على : وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجعل ظرفاً كما كان قوله : (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار ، وأما من رفع عليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ، ولا يمنع من هذا أفراد عال ، وجمع الثياب . لأن فاعلاً قد يراد به الكثرة ، كما قال :

ألا إن جيرانى المشية رائح دعنهم دواع من هوى ومناوح

(١) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٢) سورة الإنسان آية ٢١ .

قال تعالى : (مستكبرين به سامراً تهجرون) (١) ومن رفع خضراً أجراً
صفة للشباب وهو الأقيس من وجوه :

أحدها : للطابقة بينهما في الجمع .

الثاني : موافقته لقوله تعالى : (ويلبسون ثياباً خضراً) .

الثالث : نخلصه من وصف للمفرد بالجمع ، ومن جر أجراً صفة للسندس على
إرادة الجنس ، كما يقال : أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض .

وترجع القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً ، وهو : أن العرب تجيء بالجمع
الذي هو في لفظ الواحد ، فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى : (الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر ناراً) (٢) وكقوله : (كأنهم أعجاز نخل منقعر) (٣) فإذا
كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع ، فإفراد صفة الواحد ، وإن كان في
معنى الجمع أولى .

وفي استبرق قراءتان : الرفع عطفاً على ثياب ، والجر عطفاً على سندس .
وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي ، كما جمع لهم بين
الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً . فجعل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد
بالأساور ، والأبدان بشباب الحرير . وقال تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب
ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) (٤) واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه ، فمن نصبه ففيه
وجهان :

أحدهما : أنه عطف على موضع قوله : من أساور .

(١) سورة المؤمنون آية ٦٧ .

(٢) سورة يس آية ٨٠ .

(٣) سورة القمر آية : ٢٠ .

(٤) سورة الحج آية ٢٣ .

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول ، أى ويحولون لؤلؤاً ، ومن جره فهو عطف على الذهب ، ثم يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ . والله أعلم بما أراد .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال : « إن الله عز وجل ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن قلباً من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس ، فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة » حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العبدي ، حدثنا أبي عن أنس عن الحسن قال : « الحلى في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء » حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيد بن أبي حبيب عن دواد بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلاً من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

وقال ابن وهب : حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال : إن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال : « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب مراد مكحلون » .

وقد أخرجنا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال : « كنت خاب أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة ، فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه ، فقلت : يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال يا بني فروخ أتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا بالوضوء ، سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول : تبلغ الحلية من المؤمن حيث

يبلغ الوضوء » وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة ، وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة ، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمصم لا في العضد والكف .
 وأما قوله : « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة ، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعم : فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل ، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده ، وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون إلا في الوجه ، وإطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك غرة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وقوله لا تبلى ثيابه : الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا ياحقها البلى ، ويحتمل : أن يراد به الجنس ، بل لا يزال عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه ، بل كل ما كول يخلفه آخر . والله أعلم .

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح حدثنا الملاء بن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال : « جاء أعرابي حرمي فقال : يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة : إليك أينما كنت ، أم لقوم خاصة . أم إلى أرض معلومة ، إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيراً ثم قال : أين السائل ؟ فقال : ها هو ذا يا رسول الله ، قال : الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر ، فقام آخر ، فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن ثياب أهل الجنة أنخلق خلقاً أم تنسج نسجاً ؟ قال : فضحك بمض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضحكون من جاهل يسأل عالماً !! فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن ثياب

أهل الجنة ؟ فقال : ها هو ذا يارسول الله ، قال : لا ، بل يشق عنها ثمر الجنة » ثلاث مرات .

وقال الطبراني في معجمه : حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي الفسوي قالا : حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحلها ، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء » وهذا الإسناد على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخرزجي بن عثمان السعدي حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، قال : قلت يارسول الله وما النصف ؟ قال : الحمار » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكبر في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب . فتسلم عليه فيرد السلام ، ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا المزية ، وأنه ليكون عليه سبعون ثوباً أداها مثل النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وأن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب » وروى الترمذي ذكر التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشيد بن سعد عن عمرو بن وهب .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود

قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكامها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خالد الزميل أنه سمع أباة قال : « قلت لابن عباس : ما حلل الجنة ؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الزمان ، فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه غصنها ، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت » .

قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يا رسول الله « طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ، ثم طوبى ثم طوبى ، لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها » .

قال وحدثني يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال : قال أبو هريرة : « دار المؤمن فى الجنة لأولوة فيها شجرة تنبت اللؤلؤ فيأخذ الرجل بأصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة بمنطقة بالؤلؤ والمرجان » .

قال وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال : قال كعب : « لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال : « ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم هذا ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أ كيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس ، فتمعجب الناس من حسننها ، فقال : لنناديل سعد في الجنة أحسن من هذا » .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث البراء قال : « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير ، فجمعوا يحبون من لينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعجبون من هذا ؟ لنناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » .

ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا ، فإنه كان في الانصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش ، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم ، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله ، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعم جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله ، التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

فصل

ومن ملابسهم التي تعجبان على رؤوسهم

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن ساهمان عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سميد القبري وزيد بن أسلم عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ، ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حججياً ، فقال : يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، إلا فلانا كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار ، فيحل حلاله ويحرم حرامه يقول : يارب ، فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ؟ فيقول : يارب أرغب له في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك يمينه والخلد بشماله ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بريدة عن أبيه يرفعه « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ، فيقول له القرآن : أنا الذي أطعأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك يمينه والخلد شماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان : بيم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هدى كان أو ترتيباً » (البطلة) السحرة (والغيابة) ما أظل الإنسان فوقه .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمع عن أبيه الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فقال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لواؤة منها لنضى ما بين المشرق والمغرب » .

فصل

وأما الفرش فقد قال تعالى : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) (١) وقال تعالى : « وفرش مرفوعة » فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق ، وهذا يدل على أمرين :

أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض ، وظهرها للجمال والزينة والمباشرة . قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله في قوله : بطائنها من استبرق ، قال : هذه البطائن قد خبرتم بها ، فكيف بالظهاير ؟ .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد

عروى في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها ، كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « في قوله (وفرش مرفوعة) قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشيد بن سمع . قيل : ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها ، قلت رشيد بن سمع عنده مناكير . قال الدارقطى ليس بالقوى ، وقال أحمد : لا يبالى عن روى ، وليس به بأس فى الرقاق . وقال : أرجو أنه صالح الحديث ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، وقال الجوزجاني : عنده مناكير ، ولا ريب أنه كان سوء الحفظ ، فلا يعتمد على ما ينفرد به .

وقد قال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في قوله (وفرش مرفوعة) قال : ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ . فإله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا المقدم بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب « في قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : مسيرة أربعين سنة » .

قال الطبرانى حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي : حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال : لو طرح فراش من أعلاها لهُوى إلى قرارها مائة خريف » وفي رفع هذا الحديث نظر ، فقد قال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال : وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبى أمامة « في قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : لو أن أعلاها سقط سما بانح أسفلها أربعين خريفا » .

فصل

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى : (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)^(١) ، وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمازق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة)^(٢) ، وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : (الرفرف) رياض الجنة و (العبقرى) عتاق الزرابى ، وذكر إسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) قال : هى البسط ، قال وأهل المدينة يقولون : هى البسط ، وأما النمازق ، فقال الواحدى : هى الوسائد ، فى قول الجميع واحدها : تمرقة ، بضم النون ، وحكى الفراء تمرقة بكسرهما ، وأنشد أبو عبيدة :

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمازقه

قال السكاكى : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض . وقال مقاتل : هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابى ، بمعنى البسط والطنافس واحدها زربية : فى قول جميع أهل اللغة والتعبير ، ومبثوثة مبسوطة منشورة .

فصل

وأما الرفرف فقال الليث : ضرب من الثياب خضر تبسط . الواحد : رفرفة . وقال أبو عبيدة : لرفارف البسط ، وأنشد لابن مقبل :

وإنما لنزالون تنشى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق : قالوا : الرفرف ههنا رياض الجنة ، وقالوا : الرفرف الوسائد ، وقالوا : الرفرف المحابس ، وقالوا : فضول المحابس للفرش ، وقال المبرد :

(١) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٢) سورة الفاشية الآيات ١٣ - ١٦ .

هو فضول الشياح التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره ، قال الواحدى : وكان الأقرب هذا ، لأن العرب تسمى كسر الجباء والخرقة التي تخاط في أسفل الجباء : رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : « فرقع الرفرف فرأيناه وجهه كأنه ورقة » قال ابن الأعرابى : الرفرف ههنا طرف البساط ، فشبه ما فضل من المحابس ، عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفاً .

قلت : أصل هذه السكامة من الطرف أو لجانب فمنه الرفرف في الحائط ، ومنه الرفرف وهو كسر الجباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، والواحدة رفرقة ، ومنه رفرق الطير إذا حرك جناحه حول الشيء يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس . والواحدة رفرقة ، وكل ما فضل من شيء فتى وعطف فهو رفرق « وفي حديث ابن مسعود ، في قوله عز وجل . (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (١) قال : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق » وهو في الصحيحين .

فصل

وأما العبقري ، فقال أبو عبيدة : كل شيء من البسط عبقري . قال : ويرون أنها أرض توشى فيها ، وقال الليث : عبقري موضع بالبادية كثير الجن ، يقال : كأنهم جن وعبقر ، قال أبو عبيدة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر : فلم أر عبقرياً يفري فريه ، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقريه وهي أرض يسكنها الجن ، فصار مثلاً منسوب إلى شيء رفيع ، وأنشد لزهير :

نخمال عليها جبة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستملوا

وقال أبو الحسن الواحدى : وهذا القول هو الصحيح في العبقري ، وذلك أنه العرب إذا بالفت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ، ومنه قول لبيد :

• جن النـدا رواسياً أقدامها •

وقال آخر يصف امرأة :

جنية ولها جن يملها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يستقدون في الجن كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ، ولما كان عبقر ممروراً بشكناهم نسبوا إلى كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعتهم هذا هو الأصل ، ثم صار العبقرى إسماعاً ونعتاً لكل ما بولغ فيه صفته ، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير ، فإنه نسب الجن إلى عبقر ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقرياً ، وروى صلوة عن الفراء .

قال العبقرى : السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر ، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى ، لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا ، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه .. قال ابن عباس : وعبقرى يريد البسط والطنافس ، وقال الكلابي : هي الطنافس الجملة .

وقال قتادة هي عتاق الزرابي . وقال مجاهد : الديباج الغليظ ، وعبقرى جمع واحد عبقرية . ولهذا وصف بالجمع .

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة ، والزرابي بأنها مبثوثة ، والتمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابي دال على كثرتها ، وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المماند ، يدل على أنها مهياة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت . والله أعلم .

الباب الحادى والخمسون

فى كر خيامهم وسررم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى : (حور مقصورات فى الخيام)^(١) وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ».

وفى لفظ لهما : « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ، ما يرون الآخريين يطوف عليهم للمؤمن » .
وفى لفظ آخر لهما أيضاً « الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا ، فى كل زاوية منها أهل المؤمن لا يراهم الآخرون » .

وللبخارى وحده لفظ « طولها ثلاثون ميلا » وهذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل خيام فى البساتين وعلى شواطىء الأنهار .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان قال : « ينشأ خلق الحور العين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام » وقال بعضهم : لما كنا أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بملها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن فى خدور الخيام ، حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال « لسكل مسلم خيرة ولسكل خيرة خيمة ، ولسكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات

ولا طماحات ، حور عين كأنهن بيض مكنون .

حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود « في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) قال : در مجوف » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خلد القصري عن أبي الدرداء قال : « الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة » .

قال ابن المبارك وأخبرنا هام عن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » .

وقال ابن أبي الدنيا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد : (حور مقصورات في الخيام) قال في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة . حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن أبي عباس حور مقصورات في الخيام قال : الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سراق دوره خمسون فرسخاً ، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل وذلك قوله : (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) (١) والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى : (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وقال تعالى : (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين) وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة) فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض . وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة : التضيد والنسج المضاعف ، يقال : وضن فلان الحجر . والأجر بعضه فوق بعض ، فهو موضون .

وقال الليث الوضن : نسج السرير وأشباهه ويقال : درع موضونة مقاربة

النسج . وقال رجل من العرب لامراته : ضفى متاع البيت ، أى قاربى بمضد
من بعض .

قال أبو عبيدة والفراء والبرد وابن قتيبة : موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة
بعضها على بعض ، كما توضع حلق الدرع ، ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور
تنسج فيدخل بعضها على بعض ، وأنشدوا للأعشى :

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فميرا

قالوا موضونة : منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد ،
قال هشيم : أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال : مرمولة بالذهب . وقال طي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس موضونة : مصفوفة . نأخبر سبحانه أنها مرفوعة .

قال عطاء عن ابن عباس : قال سرر من ذهب مكحلة بالزبرجد والدر والياقوت
والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة .

وقال السكبي : طول السرير في السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس
عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه .

فصل

(وأما الأرائك) فهي جمع أريكة . قال مجاهد عن ابن عباس : (متكئين
فيها على الأرائك) ، قال : لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة ، فإذا كان سرير
بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون
أريكة إلا والسرير في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال مجاهد : هي الأسرة في الحجال . قال الليث : الأريكة سرير حجلة
فالحجلة والسرير أريكة وجمها أرائك . وقال أبو إسحاق : الأرائك : الفرش

في الحجال. قلت : ههنا ثلاثة أشياء . أحدها : السرير . الثاني : الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه . والثالث : الفراش الذي على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة ، حتى يجمع ذلك كله .

وفي الصحاح : الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة ، والجمع الأرائك .

وفي الحديث : « أن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة » وهو المزر الذي يجمع بين طرفها من حجلة أزارها . والله أعلم .

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلماهم

قال تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس ممين) (١)
وقال تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) (٢)
قال أبو عبيدة والفراء : مخلدون لا يهرمون ولا يتفرون . قال والفراء يقول للرجل
إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلد وإذ لم تذهب أسنانه من الكبر قيل : هو مخلد ، وقال
آخرون : مخلدون مقرطون مسورون أى في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور .
وهذا اختيار ابن الأعرابي ، قال : مخلدون مقرطون بالمخلدة . وجمعها خلد
وهي القرطة .

وروى عمرو عن أبيه : خلد جاريته ، إذا حلاها بالخلد وهي القرطة ، وخلد إذا
أسن ولم يشب ، وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون . واحتج هؤلاء بمجتعين أحدهما :
أن الخلود عام لكل من دخل الجنة ، فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد
مختص بهم وذلك هو القرطة . الحجة الثانية . قول الشاعر :

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكشبان

وقال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون . وقول
ترجمان القرآن في هذا كاف ، وهو قول مجاهد والكلبي ، ومقاتل قالوا : لا يكبرون
ولا يهرمون ولا يتفرون ، وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا : هم ولدان لا يمرض
لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القرطة . فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ، أن كونهم
ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة .

(١) سورة الواقعة الآية ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٩

وفي كونه مثوراً فائدتان : إحداهما الدلالة على أنهم غير معطلين بل مشوثون في خدمتهم وحوالجتهم . والثانية : أن الأولاد إذا كان مثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد .

وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله في الجنة إنشاء ؟ على قولين : فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري : هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة ، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن في قوله : (ولدان مخلدون) قال : لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيما قبون عليها فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفال للشركيين ، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة ، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم ، قال المديني عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي ﷻ من ذرية البشر أن يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة » يعني الأطفال .

قال الدارقطني : ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتهمى ، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه . وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

قال ابن قتيبة : واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت ، وأصحاب القول الأول لا يقولون : إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها ، وإنما يقولون : هم غلمان أنشأهم الله في الجنة ، كما أنشأ الحور العين .

قالوا : وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أن أبا عمر بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » رواه الترمذي .

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالخوارج الذين خدموا لهم وغلاناء، كما قال تعالى : (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يحمل أولادهم غدومين معهم ولا يحملهم غلمانا لهم.

وقد تقدم في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بشوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون » والمكنون : المستور للصون الذي لم يتبدله إلا يادى ، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله : (ويطوف عليهم غلمان لهم) وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد، فلذلك كور آتقاً ، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها . والله أعلم .

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) فتأمل جلالة للبشر ومنزلته وصدقه وعظمته من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن والجنت وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج للطهرة ، ونعيم القلب وقررة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

والأزواج : جمع زوج ، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها ، هذا هو الأنصح ، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة) (٢) ومن العرب من يقول : زوجة وهو نادر ، لا يكادون يقولونه ، وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحدة فيجري صفة على جمع التكسير لإجراء له مجرى جماعة ، كقوله تعالى (مساكن طيبة) (وقرى ظاهرة) ونظائره ، والمطهرة : من طهرت من الخبث والبول والنفاس والغائط والخطأ والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات الذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يمرض لها دنس أو وسخ .

قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٢) سورة البقرة آية ٣٥

صلى الله عليه وسلم : « لهم فيها أزواج مطهرة » قال : من الحيض والفائط والنجاسة والبصاق وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس : مطهرة لا يحضن ولا يمدثن ولا يتنخنن ، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القدر والأذى ، وقال مجاهد : لا يبلن ولا يتوطن ولا يمدن ولا يمتنن ولا يحضن ولا يصقن ولا يتنخنن ولا يلدن ، وقال قتادة : مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقدر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد : المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ، قال : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة وسأدريك كما دمت هذه الشجرة .

وقال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين : في جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) (١) فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً ، وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً .

والحور : جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين . وقال زيد بن أسلم : الحوراء التي يحار فيها الطرف ، وعين حسان الأعين ، وقال مجاهد : الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون .

وقال الحسن : الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين ، واختاف فيه اشتقاق هذه اللفظة ، فقال ابن عباس : الحور في كلام العرب البياض ، وكذلك قال قتادة : الحور البياض ، وقال مقاتل : الحور البياض الوجوه . وقال مجاهد :

الخور المين التي يحار فيمن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد ، وصفاء اللون . وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحبرة . وأصل الخور : البياض . وللتحوير : التبييض . والصحيح : مأخوذ من الخور إن الخور في المين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفي الصحاح : الخور شدة بياض المين في شدة سوادها . امرأة حوراء : بيضاء الخور . وقال أبو عمر : والخور : أن كسود المين كلها مثل أعين الظباء والبقر ، وليس في بني آدم حور ، وإنما قيل : النساء حور المين ، لأنهن شبهن بالظباء والبقر . وقال الأصمعي : ما أدري ما الخور في المين ؟ قلت : خالف أبو عمر وأهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الخور إلى السواد ، والناس وغيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد ، والخور في المين : معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ، عين حوراء : إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد . والمين : جمع عيناء وهي المظيمة المين من النساء ، ورجل أعين ضخمة المين إذا كان . وامرأة عيناء . والجمع عين . والصحيح : أن المين اللائي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة ، قال مقاتل : المين حسان الأعين ومن محاسن للمرأة اتساع عينها في طول ، وضيق المين في المرأة من الميوب ، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع : ففها وخرق أذنها وأنتها ، وما هنالك ، ويستحب السمة منها في أربعة مواضع : وجهها وصدرها لونها وفرها وبياض عينها . ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وكاهلها وهو ما بين كتفيها ، ووجهها ، ويستحسن للبياض منها في أربعة مواضع : لونها وفرقها وثفرها وبياض عينها ، ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وحاجبها وهدبها وشعرها ، ويستحب الطول منها في أربعة : قوامها وعنقها وشعرها وبناتها ، ويستحب القصر منها في أربعة : وهي مشوية لسانها ويدها ورجلها وعينها ، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام ، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج ، وعن بذله ، وتستحب الرقة منها في أربعة : خصرها وفرقها وحاجبها وأنتها .

فصل

وقوله تعالى : (وزوجناهم بحور عين) قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجاً كما زوج النمل بالنمل جعلناهم اثنين اثنين . وقال يونس : قرناهم بهن وليس من عقد التزويج ، قال : والعرب لا تقول : تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها . قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها) (١) ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها . وقال ابن سلام : تميم تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بها ، وحكاه الكسائي أيضاً . وقال الأزهري : تقول العرب : زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم : تزوجت بامرأة ، وقوله تعالى : (وزوجناهم بحور عين) أى قرناهم . وقال الفراء : هى لنة فى ازدشونه قال الواحدى : وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن ؛ لأنه جملة من التزويج الذى هو بمعنى جمل الشيء زوجاً ، لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا يجوز أن يقال : كان فرداً فزوجته بآخر ، كما يقال شفعته بآخر ، وإنما تمتنع الباء عند من يمتنعها ، إذا كان بمعنى عقد التزويج .

قلت : ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً ، فلفظ التزويج يدل على النكاح ، قال مجاهد : أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم . وقال تعالى : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : فبأى آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان) (٢) وصفهن سبعانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع : أحدها : هذا . والثانى : قوله تعالى فى الصفات (وعندهم قاصرات الطرف عين) . والثالث : قوله تعالى فى ص (وعندهم قاصرات الطرف آراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصره طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم . وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٢) سورة الرحمن الآيات ٥٦ - ٥٨ .

وجاهلن ، أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن . أى ليس بطامع متعد .

قال آدم : حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (قاصرات الطرف) قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبنين غير أزواجهن ، قال آدم : وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ، ولا متطلعات ، وقال منصور عن مجاهد : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وفي تفسير سعيد عن قتادة قال : وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وأما الأتراب فيجمع ترب : وهو لدة الإنسان .

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق : أقران أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس : وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلا واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة . وقال مجاهد : أتراب : أمثال . وقال أبو إسحاق : هن في غاية الشباب والحسن ، وسمى سن الإنسان وقرنه تربه ؛ لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور ، فإن فيهم الولدان وهم الخدم ، وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقالت طائفة : مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والنرف والحيام . وقالت طائفة : مفسره الفرس المذكورة في قوله متكئين على فرش بطائئها من إستبرق^(١) ، وفي بمعنى على ، وقوله تعالى (لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان)^(٢) قال أبو عبيدة : لم يمسهن يقال ما طمط هذا البعير جبل قط أى ما مسه . وقال يونس : تقول العرب هذا جبل ما طمته جبل قط أى مامسه . وقال الفراء : الطمط الافتضاض وهو النسكاح بالتدمية ، والطمط هو الدم . وفيه

(١) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

فلتتان طمئت يطمئ ويطمئ . قال الليث : طمئت الجارية إذا افترعتها ، وللطامئ في
 لفتهم هي الخافض . قال أبو الهيثم : يقال للمرأة : طمئت تطمئت إذا أدمنت بالافتراض ،
 وطمئت على فلتت تطمئت إذا حاضت أول ما يحيض فهي طامئ ، وقال في قول
 الفرزدق :

جرجن للآئي لم يطمئن قبلي وهن أصح من يفيض النعام

أى لم يمسن قال المنسرون : لم يطأهن ولم يشهن ولم يجامهن هذه الفاظهم ،
 وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن في الجنة من حورها وبعضهم
 يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبقاراً كما وصفن .

قال الشعبي : نساء من نساء الدنيا لم يمسن منذ أنشئن خلقاً .

وقال مقاتل : لأنهن خلقن في الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس : هن الآدميات
 اللاتي متن أبقاراً .

وقال الكلبي : لم يجامهن في هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان .

قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من
 الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمئن الإنس ونساء الجن قد طمئن الجن والآية
 تدل على ذلك .

وقال أبو إسحق : وفي هذه الآية دليل على أن الجن يشئ ، كما أن الإنس يشئ .
 ويدل على أنهم الحور اللاتي خلقن في الجنة ، أنه سبحانه جعلهن مما أعد الله في
 الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضاً الآية
 التي بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام)^(١) ثم قال (لم يطمئن
 إنس قبلهم ولا جان) .

قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ؛ لأنهن خلقن

اللبقاء ، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار . وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال : باب ثواب الجن وعقابهم ، ونص عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب ، وقد سئل هل للجن ثواب ؟ فقال نعم ، وقرأ هذه الآية ثم قال : الإنسيات للانس والجنيات للجن ، وقال مجاهد في هذه الآية : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجن على إخليله فجامع منه والضمير في قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متسكنين ، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان)^(١) قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان . ويدل عليه ما قاله عبدالله : أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان) ألا وإن الياقوت حجر لو جمعت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

فصل

وقال تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام) المقصورات المحبوسات . قال أبو عبيدة : خدرن في الخيام ، وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر ، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن ، لا يرون غيرهم وهم في الخيام ، وهذا معنى قول من قال : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمعن إلى من سواهم ، وذكره الفراء .

قلت : وهذا معنى (قاصرات الطرف) لسكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقوله في الخيام على هذا القول : صفة لحوره أي هن في الخيام ،

(١) سورة الرحمن آية ٥٨ .

وليس معمولاً المقصورات ، وكأن أرباب هذا القول ، فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين .

أصحاب القول الأول يجهلون عن هذا : بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات ، وذلك أجل في الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه . فوصفهن لللازم لهن القصر في البيت ويمرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ، وأما مجاهد فقال : مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لسكلا النوعين فإنهما صفتا كال . فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال .

فصل

وقال تعالى : (فبهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة ، وحسان : جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشم ، حسان الوجوه .

قال وكيع : حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال : « لسكل مسلم خيرة ولسكل خيرة خيمة ولسكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهديّة وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا نرحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات » .

فصل

وقال تعالى (إنا أنشأناهم إنشأ . فجعلناهم أذكرا . غربا أربابا ، لأصحاب
 الجن) (١) أعاد للضمير إلى النساء ولم يجر لمن ذكر ؛ لأن الفرش دلت عليهن
 إذ هن محال . وقيل الفرش في قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء ، كما
 يكى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها . ولكن قوله مرفوعة بأبي هذا إلا أن يقال :
 للراد رمة القدر . وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها ،
 فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء ؛ لأنها محال غالبا . قال قتادة وسعيد
 ابن جبير : خلقناهم خلقا جديدا ، وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات . وقاله
 السكبي ومقاتل : يعنى نساء أهل الدنيا المعجز الشمط . يقول تعالى : خلقناهم بصفة
 الكبر والمهرم بعد الخلق الأول في الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع
 « هن عجائزكم الممشى الرمش » رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد
 الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن
 عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه ؟
 فقالت : إحدى خالاتي ، قال : أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ، فدخل على العجوز من
 ذلك ما شاء الله فقال للنبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهم إنشأ) خلقا آخر
 يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ، ثم قرأ
 النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهم إنشأ) .

قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد
 ابن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله
 (إنا أنشأناهم إنشأ) قال : يعنى الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا .

قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « لا يدخل الجنة المعجز فسكت عجوز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروها أنها يومئذ ليست بمعجوز ، إنها يومئذ شابة ، إن الله عز وجل يقول (إنا أنشأناهم إنشاء) » .

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة : لقد لقيت من كلتك حشقة وشدة ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً » .

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهم الحور العين التي ذكرهن ، قيل : أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة » والظاهر أن المراد بأنشأهن الله تعالى في لجنة إنشاء ويدل عليه وحوه :

أحدها : أنه قد قال في حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب - إلى قوله - كأمثال اللؤلؤ المسكون) فذكر سرهم وآيتهم وشرابهم وهاكمتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم ، والظاهر : أنهم مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة .

الثاني : أنه سبحانه قال (إنا أنشأناهم إنشاء) وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك ، كقوله (وأن عليه النشأة الآخرة)^(١) وقوله (ولقد علمتم النشأة الأولى)^(٢) .

الثالث : أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجاً ثلاثة) إلى آخره للذكور والإناث ،

والنشأة الثانية أيضا عامة للتوعين ، وقوله (إنا أنشأناهم إنشاء)^(١) ظهره اختصاصهم بهذا الإنشاء ، وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص المعائر المذكورة بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهم للحوار العيني في هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحوار العيني عنهم بما ذكر من الصفات ، بل هي أحق به منهم ، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم . وقوله (عربا) جمع عرب و هن المتحبيات إلى أزواجهن . قال ابن الإعرابي : العرب من النساء المطيعة لزوجها التحبية إليه . وقال أبو عبيدة : العرب الحسنة التبعيل .

قلت : يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع ، وقال البرد : هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد :

وفي الخدوج عرب غير فاحشة ربا الروادف يمشى دونها البصر
وذكر المفسرون في تفسير « العرب » أنهم العواشق المتحبيات الفنجات
الشكلات المتمشقات الغلمات المنفوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . وقال البخاري في صحيحه : عربا مثقلة واحدها عرب . مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية ، وأهل المدينة الفنجة ، وأهل العراق الشكلة « والعرب » المتحبيات إلى أزواجهن . هكذا ذكره في كتاب « بدء الخلق » وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة : عربا مثقلة واحدها عرب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية ، وأهل المدينة الفنجة ، وأهل العراق الشكلة . قلت : فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذا غاية ما يطالب من النساء وبه تسكل لذة الرجل بهن وفي قوله (لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جان)^(٢) إعلام بكال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه ، لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي أيضا .

فصل

وقال تعالى : (إن للمتقين مفازا . حدائق وأعنابا . وكواعب أزرابا)^(٣)

(١) سورة الواقعة آية ٣٥ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

(٣) سورة النبا آية ٣٢ .

فالكواكب : جمع كاعب وهى الناهد . قال قتادة ومجاهد والفسرون : قال السكبي : هن الفلكات الواوى تكعب ثديهن وتفلكت ، وأصل اللفظة من الاستدارة . والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواكب .

فصل

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى أسوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلمت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض للأت ما بينهما ريحاً ولا ضاء ما بينهما ، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ، ولكل امرئ منهم زوجتان ، يرى مغسوقتهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب »

وقال الطبرانى حدثنا بكر بن سهل الدميضى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة ، قالت « قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال : حور بيض (عين) ضيخام الميون شقر ، الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قالت : أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهن لؤلؤ مكنون) قال : صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدي ، قلت : يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال :

خبرات الأخلاق حسان الوجوه ، قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل
 (كأنهنبيض مكنون) ^(١) قال : رقتن كركة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة
 مما يلي القشر وهو الفرقاء ، قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل (غرباً أتراباً)
 قال : هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضاً ثم طاخلقهن الله بعد السكبر ، فجملهن
 عذارى غرباً متمشقات متحبيبات أتراباً على ميلاد واحد ، قلت : يا رسول الله نساء
 الدنيا أفضل أم الحور الميعن ؟ قال : بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة
 على البطانة ، قلت : يا رسول الله وبم ذلك ، قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله
 تعالى ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب
 صفر الخلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب ، يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن
 الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظمن أبداً ، ونحن الراضيات فلا ننسخط
 أبداً ، طوبى لمن كنا له وكان لنا ، قلت : يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين أو
 ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ، ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال :
 يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول : أي رب ، إن هذا كان أحسنهم معي
 خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » تقود
 به سليمان بن أبي كريمة ضمه أبو حاتم ، وقال ابن عدي عامة أحاديثه منكبر . ولم أر
 للمقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه . وقال : لا يعرف إلا بهذا السند .

وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك
 ابن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب
 القرظي عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو في طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور وفيه « فأقول يا رب وعدتي الشفاعة
 خشفني في أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم في دخول
 الجنة » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي بعثني بالحق ، ما أتم

في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم
 فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وتلتين من ولد آدم لها
 فضل على من أنشأ الله، لبلاتهما الله عز وجل في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في
 غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكال بالواو عليه سبعون زوجاً من سندس
 وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها
 وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة
 الياقوت، كبده لها امرأة وكبدها له امرأة، فيبينا هو عندها لا ينام ولا تمل، ولا
 يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فيبينا هو كذلك
 إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل، إلا أنه لا ممل ولا ممل، إلا أن تسكون
 له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كما جاءت واحدة قالت: والله ما
 في الجنة شيء أحسن منك. وما في الجنة شيء أحب إلى منك .

هذا قطعة من حديث للصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع . وقد روى له
 الترمذي وابن ماجه وضمفه أحمد ويحيى وجماعة . وقال الدارقطني وغيره : متروك
 الحديث . وقال ابن عدي : عامة أحاديثه فيها نظر . وقال الترمذي : ضمه بعض أهل العلم .
 وسمعت محمداً ، يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب الحديث .

وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث
 ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد ، ومما
 تضمنه معروف في الأحاديث . والله أعلم .

وقال عبد الله بن وهيب حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة ، الذي له ثمانون
 ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ ويزرجد وياقوت كما بين
 الجالية وصماء » رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمع بالطريق . قال أحمد :
 أحاديثه منكراً ، وقال النسائي : منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ضيف . وقال النسائي :
 أيضاً : ليس بالقوي . وساق له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها .
 وقال الدارقطني : ضيف . وقال مرة متروك . وأما يحيى بن معين فقد وثقه .

وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني : هو ثقة .

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَاللُّجَاجُ) قال : « ينظر إلى وجهه في حدها أصفى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة دلهما لتضوء ما بين الشرق والغرب ، وإنه ليسكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » .

وقال الفريابي : أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن ممدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا وله قبل شهي وله ذكر لا ينثى » .

قلت : خالد هذا هو ابن يزيد بن عبيد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين . وقال أحمد : ليس بشيء . وقال النسائي : غير ثقة وقال الدارقطني : ضعيف . وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه .

وقال أبو نعيم : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن حمويه ، حدثنا أحمد بن حفص ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمؤمنين في الجنة ثلاث وسبعون زوجة ، قلنا يا رسول الله أوله قوة على ذلك ؟ قال : إنه ليعطى قوة مائة رجل » .

قلت : أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير . والحجاج هو ابن أرطاة . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الآبار ، حدثنا أبو هام الوليد بن شجاع ، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان المنجري ببغداد ، حدثنا عبد الله بن عمرو ابن أبان قال : حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : « قيل يا رسول الله ، هل تصل إلى نساءنا في

للجنة ؟ فقال : إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء « قال الطبراني : لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجمع . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح .

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس قال : « قيل يا رسول الله أنقض إلى نسائنا في الجنة كما تنقض إليهن في الدنيا ؟ قال : والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الفداة الواحدة في مائة عذراء » وزيد هذا قال فيه ابن معين : صالح ، وقال مرة : لا شيء ، وقال مرة : خفيف ، يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني : صالح ، وضعفه النسائي . وقال السعدي : متأسك . قلت : وحسبه رواية شعبة عنه .

فصل

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين ، وليس في الصحيح زيادة على ذلك ، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة ، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلعة والسكر كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجمع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال : له كذا وكذا زوجة .

وقد روى الترمذي في جامعهم من حديث قتاده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » ، قيل : يا رسول الله أو يطبق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة . هذا حديث صحيح ، فلمل من رواه ينقض إلى مائة عذراء . رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات . والله أعلم .

ولأريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين ، لما في الصحيحين ، من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للعبد المؤمن في الجنة حيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً » .

الباب الرابع والخمسون

في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار
وذكر صفاتهن ومعرفةهن اليوم بأزواجهن

قأما للمادة التي خلق منها الحور العين ، فقد روى البيهقي من حديث الحارث
بن خليفة . حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب ، عن
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحور العين خلقن من
الزعفران » قال البيهقي : وهذا منسكرك بهذا الإسناد ، ولا يصح عن ابن علية .

قلت : ولكنه حديث فيه شعبة ، وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن رشدين ،
حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري ، حدثني الليث بن ابنة الليث عن أبي
سليم قال حدثني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليث بن أبي سليم
عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الحور العين من
الزعفران » قال الطبراني : لا يروى إلا بهذا الإسناد . تفرد به علي بن الحسن بن
هارون .

قلت : وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت : سمعت زوجي
ليث بن سليم يحدث عن مجاهد ، فذكره مرفوعاً إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه
عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زيادة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله :
« حولا يصح رفع الحديث ، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس ، وقال أبو سلمة بن عبد
الرحمن : « إن لولي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ، ولكن خلقت
من زعفران » وهذا مروي عن صحابين وها ابن عباس وأنس ، وعن قابيين ،
وهما أبو سلمة ومجاهد ، وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بينه
والآباء والأمهات ، والله أعلم .

وقد رواه الطبراني من حديث مجده بن زحر عن علي بن زيد عن الحسين عن

أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الإسناد لا يحتج به ، ورواه أبو نعيم .
حدثنا علي بن محمد الطوسي ، حدثنا علي بن سميد ، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسائي .
حدثنا منصور بن المهاجر ، حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفعه : « لو أن
حوراء بصقت في سبمة أبحر لمدت البحار من عذوبة فيها ، وخلق الحور العين
من الزعفران » وإذا كانت هذه الحلقة الآدمية التي هي أحسن الصور وأجملها ،
مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصورة ، فما الظن بصورة مخلوقة من
مادة الزعفران الذي هناك !! : والله للستمان .

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع ، حدثنا جلس بن
محمد السكلابي ، حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا ميمونة ، حدثنا إبراهيم النخعي عن
علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور
في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثمر حوراء ، ضحككت في وجه زوجها »
وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجمر بن سميد عن خالد بن معدان عن كثير بن
مرة قال : « إن من المزيدي أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم ؟
فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا » قال : يقول كثير : لأن أشهدني الله ذلك لأقولن
أمطرينا جوارى مزيئات ، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى . قال ابن أبي
الدنيا حدثنا خالد بن سميد عن خدائش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سميد بن
أيوب عن عقيل بن خالد الزهري أن ابن عباس قال : « إن في الجنة نهراً يقال له
البلدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى
البيدخ ، فيتصفهون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس مصحفاً
فتبته » وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « يا جبريل قف بي على الحور العين ،
فأوقفه عليهن . فقال : من أنتن ؟ فقلن : نحن جوارى قوم كرام حلوا فلم يظمنوا ،
وشبوا فلم يهرموا ، ونقوا فلم يدرنوا » .

وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زخير . عن خالد بن
عمران عن ابن عباس قال : « كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال : لو أن يداً من

الخور دليت من السماء ، لأضاءت لها الأرض كما نضى الشمس لأهل الدنيا ، ثم قال : إنا قلت : يدها ، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله !! » .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين : لا تؤذيه قالتك الله ، فإنما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا » . وفي مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الخور العين لا أكثر عدداً من منكن يدعون لأزواجهن يقطن الله أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بمزتك يا أرحم الراحمين » ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال : « إن في الجنة حوراء يقال لها اللبة ، كل حور الجنان يمجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقطن : طوبى لك يا لبة ، لو يعلم الطالبون لك الجدوا ، بين عينيها مكتوب : من كان يبتنى أن يكون له مثلى فإيعمل برضاء ربى » .

وقال عطاء السلمي مالک بن دينار : « يا أبا يحيى شوقنا ، قال : يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لما تواتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمدأ من قول مالك » .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : حدثني جعفر بن محمد قال : لقي حكيم حكيماً ، فقال : ألتفتاق إلى الخور العين ؟ فقال : لا ، فقال : فاشتق إليهن ، فإن نور وجههن من نور الله عز وجل ، ففتشى عليه ، فحمل إلى منزله فجعلنا نموده شهراً » .

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : « يا معشر الشباب ، أمانتشتاقون إلى الخور العين ؟ » وقال لي ابن أبي الخوارى حدثني الحضرمي قال : « نعمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح » . فقلت : يا أبا حمزة ما رقت الليلة ، فقال : إني لما اضطجعت تمتل لي حوراء حتى كأنني

أحسست بجلدها ، وقد مس جلدي ، فحدثت به أبا سليمان فقال : هذا رجل كان مشتاقا .

وقال ابن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : « يلبث خلق الحور المئين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الحيام » .

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن زيد الرقاشي قال : « بلغني أن نورا سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه ، فقيل : ما هذا؟ قال : حوراء ضحكت في وجه زوجها ، قال صالح : فشبه رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشبه حتى مات » .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربي عن عبد الله الجوني عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت ابن عباس يقول : « لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لاضاء حسنها ما بين السماء والأرض » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني الحسين بن يحيى وكثير المنبري حدثنا خزيمه أبو محمد عن سفيان الثوري قال : « سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور ، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها » ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد السكرخي ، قال : حدثني عيسى بن يوسف الطباع حدثني حلس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سطع نور في الجنة فرموا أبصارهم فإذا هو من ثمر حوراء ضحكت في وجه زوجها » .

وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : « إذا سبحت المرأة من الحور المئين

لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت »

وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : « إن الحور
العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طال ما انتظرناكم ، فنحن
الراضيات فلا نخط ، وللقبات فلا نظمن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن
أصوات سمعت وتقول : أنت حي وأنا حبك ، ليس دونك تقصير ، ولا وراءك
ممدل » .

الباب الخامس والخمسون

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذم بذلك أكمل لذة وزاهة

ذلك عن للذي واللى والضمف ، وأنه لا يوجب غسلا

وقد تقدم حديث أبي هريرة : « قيل يا رسول الله ، أنقضى إلى نساءنا في الجنة ؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » وإن إسناده صحيح . وتقدم حديث أبي موسى للتفق على صحته : « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، له فيها أهليون يطوف عليهم » .

وحديث أنس : « يمطى اؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء » وصححه الترمذى وروى الطبرانى وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال : « يا رسول الله على ما يطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من غسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن ، وناكة لعمركم إلهك مما تملكون وخير من مثله وأزواج مطهرة . قالت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلهذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلهذكن ، غير أن لا توالد » .

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا رسول الله أنطأ في الجنة ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده دحماً ، دحماً : فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقى الواسطى حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطى حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي التوكل عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن بكراً » قال الطبرانى : لم يروه عن عاصم إلا شريك .

قال الطبراني : وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحمن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : « هل ينقاد أهل الجنة ؟ قال : بدكر لا يمل ، وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً » .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن يحيى الخولاني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : « أجماع أهل الجنة ؟ قال : دحاً دحاً ، ولكن لا مئ ولا منية » . وهاشم وخالد ، وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما ، وقوله : « لا مئ ولا منية » أي : لا يزال ولا موت ، وقال أبو نعيم : حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن للقرى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة ابن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال : نعم ، والذي بمثني بالحق بدكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع » .

وقال الحسن بن سفيان في مسنده : حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل ينسكح أهل الجنة ؟ قال : إي . والذي بمثني بالحق دحماً دحماً ، وأشار بيده ، ولكن لا مئ ولا منية » . وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)^(١) قال في افتضاض الأبقار . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد : قالا : حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : افتضاض العذارى . وقال الحاكم : أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي ، في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : افتضاض الأبقار . قال مقاتل : شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يدكرونها ولا يهتمون لهم ، وقال أبو الأحوص : شغلوا بافتضاض الأبقار عن السرور في الحجال ، وقال سليمان

التيمنى عن أبي بجز ، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) ما شغلهم ؟ قال : افتضاض الأسكر ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا فضيل بن جند الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس : (في شغل فاكهون) قال : في افتضاض المذارى . حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سميد بن جبير : « إن شهوته لتجري في جسده سمين عاماً يحمد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة » . يحتاجون إلى التطهير ، ولا ضعف ولا انحلال قوة ، بل وطئهم وطء التداذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه » .

وأكل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام ، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنها لهم في الدنيا ولنكم في الآخرة » .

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك ، كما نرى سبعانه على من أذهب طيباته في الدنيا ، واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : « أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال : ما هذا ؟ !! قال لحم اشتريته لأهلي بدرهم ، فقال : أو كلما اشتئى أحدكم شيئاً اشتراه !! أما سمعت الله تعالى يقول : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) (١) » .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال : « قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقناها القلائد اليابسة ، قد دقت ثم أغلى بها ، وربما وافقناها اللحم المريض وهو قليل ، فقال ذات يوم : إني والله قد أرى تقديركم

وكرهيتكم إلهامى ، إني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرفقكم عيشاً ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « غير قوماً بأمر فعلوه ، فقال : أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفأها يوم القيامة أكل ما تكون ، ومن استوفأها هنا حرمها هناك أو نقص كآلها ، فلا يحمل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه ، كلذة من ترك شهوته لله أبداً » والله أعلم .

الباب السادس والخمسون

في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذی فی جامعہ حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنی أبی عن عامر الاحول ، عن أبی الصدیق الناجی عن أبی سمید الحدری ، قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « المؤمن إذا اشتہی الولد فی الجنة کان حملاً ووضعه وسنه فی ساعة کما یشتهی » . قال هذا حدیث حسن غریب ، وقد اختلف أهل العلم فی هذا . فقال بعضهم : فی الجنة جماع ولا یكون ولد ، هكذا روى عن طاووس وعجاءد وإبراهیم النخعی . وقال محمد - یعنی البخاری - قال إسحاق بن إبراهیم فی حدیث النبی صلی الله علیه وسلم : « إذا اشتہی المؤمن الولد فی الجنة کان فی ساعة کما یشتهی ولکن لا یشتهی » . قال محمد روى عن أبی ذر بن العقیلی عن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « إن أهل الجنة لا یكون لهم فیها ولد » وأبو الصدیق الناجی اسمه بکر بن عمرو ، ویقال بکر بن قیس . انتهى کلام الترمذی :

قلت : إسناده حدیث أبی سمید علی شرط الصحیح فرجاله محتج بهم فیہ ، ولكنه غریب جداً ، وتأویل إسحاق فیہ نظر ، فإنه قال : إذا اشتہی المؤمن الولد ، وإذا للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ما ذكره من المعنی ، لقال : لو اشتہی المؤمن الولد لکان حملاً فی ساعة ، فإن ما لا یكون أحق بأداة کما لو أن المتحقق الوقوع أحق بأداة ، إذا وقد قال أبو نعیم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزیری حدثنا سفیان الثوری عن أبان عن أبی الصدیق الناجی عن أبی سمید الحدری قال : « قیل یارسول الله آیا ولد لأهل الجنة ، فإن الولد من تمام السرور ؟ فقال : والذي نفسی بیده وما هو إلا کقدر ما یتمنی أحدکم فیسکون حملاً ورضاعه وشبابه » .

حدثنا أبو الحسن علی بن إبراهیم بن أحمد الرازی بمسکة حدثنا عبد الرحمن

ابن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص الأسدي . قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي ، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة » .

وحديث معاذ بن هشام قال فيه بNDAR عامر الاحول ، وقال عمرو بن علي عاصم الاحول ، وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري رفعه « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الولد في الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة » . قال البيهقي : وهذا إسناد ضعيف بمرّة ، وأما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل ، ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته .

قال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عن حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمى الأنصاري من بني عمرو بن عوف عن دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقبلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دهم : وحدثني أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : « ألا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا تسمعونكم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه ؟ فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مشغول ،

ألا هل بانئت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا، قال : فجلس الناس ، وقت
أنا وصاحبي حق إذا فرغ لناؤاده وبصره ، قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟
فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتنى سقطه ، فقال ضحك ربك بمفاتيح خمس من الغيب
لا يعلمهن إلا الله ، وأشار بيده قلت : وما هي ؟ قال : علم المنية قد علم متى مينة أحدكم
ولا تعلمونه ، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه ، وعلم يوم النيث يوم
يشرف عليكم أذلين مشفقين ، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب . قال لقيط :
قلت : لن نعلم من رب يضحك خيراً ، وعلم يوم الساعة ، قلت : يا رسول الله ، علمنا مما
تعلم الناس وما تعلم ، فإننا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مذحج التي تربوا
علينا ، وخثعم التي توالينا ، وعشيرتنا التي نحن منها ، قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى
نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة . لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئاً
إلا مات ، وللملائكة الذين مع ربك عز وجل ، فأصبح ربك يطوف في الارضين
وختات عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما
تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلفه من
عند رأسه ، فيستوى جالساً فيقول : ربك مهم ، لما كان فيه . يقول : يارب أمتي
اليوم ولعمري بالحياة عشية تحسبه حديثاً بأهله ، فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا
بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ فقال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض ،
أشرفت عليها وهي مدررة بالية . فقلت : لانتحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم
تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهو أقدر
على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأضواء ومن
مصارعهم فتظنون إليه وينظر إليكم ، قال : قلت يا رسول الله ، فكيف ونحن
ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ، قال : أنبتك بمثل ذلك في
آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ، ويريانكم ساعة واحدة ، لا تضارون
في رؤيتهما ، ولعمر إلهك ، لهو أقدر على أن يراكم وترونها منهما ، قلت : يا رسول
الله فما يفعل بنا ربنا ، إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى
عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء ، فينضح بلسكم بها ،
فلعمر إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة . فأما السلم فتدع وجهه مثل

الربطة البيضاء ، وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحمم الأسود ، ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار ، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول : حس فيقول ربك : أو إنه ، فيظلمون على حوض الرسول صلى الله عليه وسلم على أظاء والله ناهلة قط رأيتها ، فلمع ربك ، ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر ، فلا ترون منهما واحداً قال : قالت يا رسول الله : فيم نبصر ؟ قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض ، ثم واجهته الجبال . قال : قلت : يا رسول الله فيم نجزي من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو ، قال : قلت : يا رسول الله ما الجنة ما النار ؟ قال لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . وأن للجنة ثمانية أبواب ، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، قال : قلت يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صواع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه . وأزواج مطهرة ، قلت : يا رسول الله ، ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا ، ويلذذن بكم غير أن لا نواله ، قال لقيط : فقلت : أقصى ما نحن بالفن ومنتهوئ إليه ، فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم : فقلت : يا رسول الله على ما أبأبعك فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده ، وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره ، قال : قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشروط شيئاً لا يعطينه .

قال : قلت : نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه فبسط يده ، وقال : ذلك لك تحلى حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال : فأنصرفنا وقال : ها إن ذين ها إن ذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهما من اتقى الناس في الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق أهل ذلك ، قال : فأنصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله ، هل

لأحد مما مضى من خبر في جاهليتهم ؟ قال : قال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المستفق لفي النار ، قال فكأنه قد وقع جزء من جلدي ووجهي ولحي مما قال لأبي علي رؤوس الناس : فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت يارسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبشرك بما يسوءك ، تخرج على وجهك وبطنك في النار .

قال : قلت : يارسول الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين ؟ قال : ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أمة نبياً ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزيري المدني عنه ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث ، احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه . رواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبو القاسم الطبراني ، وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم .

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرؤه بالمراق بجميع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتسكلم في إسناده ، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول . وقال أبو الخير بن حمدان : هذا حديث كبير ثابت مشهور .

وسألت شيخنا أبا الحاج المرى عنه فقال عليه جلالة الثبوة ، وقال نفاة الإبلاد : فهذا حديث صريح في إنتفاء الولادة وقوله إذا انتهى معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، وإذا وإن كانت ظاهرة في الحق فقد تستعمل لجرد التعليق الأعم عن الحق وغيره ، قالوا : وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه :

أحدها : حديث أبي رزيق .

والثاني : قوله تعالى : (ولهم فيها أزواج مطهرة)^(١) ، وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفس والأذى . قال سفیان : أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد : مطهرة من الحيض والنائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد ، وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال : من الولد والحيض والنائط والبول .

الثالث : قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل ، فإذا لم يكن هناك منى ولا منى ولا تنفخ في الفرج لم يكن هنا إيلاد ،

الرابع : أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يبقى في الجنة فضل فينشئ الله لها خلقاً يسكنهم إياها ، ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق له من غيرهم » .

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني ، فلو كانت النساء يجبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .

السادس : أن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا ، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن ، وجعل لهم أمداً يذهبون إليه ، فلو لا التناسل لبطل النوع الإنساني ، ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن ، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض ، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل ، يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

السابع : أنه سبحانه وتعالى قال : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)^(٢) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا ، ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى ، لذكرهم كما ذكر ذريتهم الذين كانوا في الدنيا ، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم ، كما هي بذريتهم من أهل الدنيا .

(١) سورة البقر آية ٢٥ .

(٢) سورة الطور آية ٢١ .

الثامن : أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لا استلزام الأول اجتماع أشخاص لا تنهاى ، واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ، ولا يمكن أن يقال : يتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل ، إذ لا موت هناك .

التاسع : أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثون من غير نمو يوضحه .

الوجه العاشر : أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة اللائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يولون ولا يتفوطون ولا ينامون ويلهون التسييح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ، ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما فى المسألة ، فأما قول بعضهم : إن القدرة صالحة والكل ممكن . وقول آخرين : إن الجنة دار المسكفين التى يستحقونها بالعمل . وأمثال هذه المباحث فرخيصة ، وهى فى كتب الناس . وبالله التوفيق .

قال الحاكم : قال الاستاذ أبو سهل : أهل الزيف ينسكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة . وقد روى فيه غير إسناد . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول : (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)^(١) ، وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته الصفى المقرب المسلط على لذاته قرة وثمره فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .

فلان قيل : فى الحديث أنهم لا يحضن ولا يفسن فأين يكون الولد ؟

قلت : الحوض حبيب الولادة المتمد مدة بالحمل على السكثرة والوضع عليه ، كما

أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب ، وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه ، وهذه خمرة الدنيا المحرمة للاستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة مزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد ! ! انتهى كلامه .

قلت : النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولـكن لحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهم مطهرات من الحيض والولد . وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين ، وحكى قول أبي إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة في حديثه : « غير أن لا مئ ولا منية ، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه » وحديث أبي سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده إسناد الترمذى ، وقد حكم بغرابته . وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناحى ، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد ، وتارة إنه ليشتهى الولد ، وتارة إن الرجل من أهل الجنة ليولد له ، فالله أعلم ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه ، وهذه الالفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض ، وحديث أبي رزين « غير أن لا توالد » إذ ذاك نفى للتوالد المهود فى الدنيا ، ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعهم وسنه وشبابه فى ساعة واحدة ، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر فى هذه المسألة ، وقد أتينا فيها بما لملك لا تجده فى غير هذا الكتاب . والله أعلم .

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنة وغناء الحور البين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون (١) ، قال محمد بن جرير : حدثني محمد بن موسى الحرشي قال : حدثنا عامر بن نساف قال : سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل : (فهم في روضة يحبرون) قال الخبر : اللذة والسماع ، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله : (يحبرون) قال : السماع في الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد ، وقتادة : ينعمون ، فلهذا الأذن بالسماع من الجنة والنعم .

وقال الترمذي : حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالوا : حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن ساعد عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة مجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهن ، يقطن : نحن الخالدات فلا نبديد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسلخ ، طوبى لمن كان لنا . وكن له » وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث غريب .

قلت : وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة ، وعبد الله بن عمر أيضاً ، فأما حديث أبي هريرة : فقال جعفر الفريابي ، حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : « إن في الجنة نهراً طول الجنة حافته العذارى قيام متقابلات ، يفنين بأصوات حتى يسميها الخلائق ، ما يرون في الجنة لذة مثلهن ، فقلنا : يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » هكذا رواه موقوفاً .

وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتب لها ريح فيصطفقن فما سمع الامامون بصوت شيء قط ألد منه » .

وأما حديث أنس : فقال أبو نعيم : أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل ابن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن أبي الأسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحور المعين يغنين في الجنة ، يقان : نحن الحور الحسن ، خلقن لأزواج كرام » ورواه ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره .

وأما حديث ابن أبي أوفى : فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقان بأصوات حسان ، لم تسمع الخلائق بمثلهن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكن له » .

وأما حديث أبي أمامة : فقال جعفر الفريابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة ، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجلية ثنتان من الحور المعين ، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزامير الشيطان » ،

وأما حديث ابن عمر : فقال الطبراني حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى الفرات المصري حدثنا سميد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أزواج أهل الجنة ليفنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن ما يفنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بكرة أعين ، وإن ما يفنين به نحن الخالدات فلا تمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيات فلا نطمئه » قال الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم .

وقال ابن وهب : حدثني سميد بن أبي أيوب قال : وقال رجل من قريش لابن شهاب : هل في الجنة سماع فإنه حبيب إلى السماع ؟ فقال إى والذى نفس ابن شهاب بيده ، إن في الجنة لشجراً حملاً الأولو والزرجد ، وتحته جوار ناهدات يتقنين بألوان يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بمضه بمضاً ، فأجبن الجوارى ، فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر .

قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد « أن الحور العين يفنين أزواجهن فيقلن : نحن الخيرات الحسان ، أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيات فلا نظمن ، في صدر إحداهن مكتوب أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسى عندك ، لم تر عيناى مثلك » وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير : « إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيات فلا نظمن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت . وتقول : أنت حبي وأنا حبك : ليس دونك مقصر ولا ورائك معدل . »

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا

وقال ابن أبي الدنيا حدثني دهثم بن الفضل القرشي حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعي : « قال بانئي أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع ، فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، فيقول الله عز وجل : وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمي ما عبدوا غيري » وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك ابن أنس عن محمد بن المنكدر قال : « إذا كان يوم القيامة ناد مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك . ثم يقول للملائكة اسمعوهم تمجيدى وتمجيدى » .

وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله عز وجل : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ، ثم نودى : يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجيدنى به في دار الدنيا ، قال : فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى : (إن له عندنا لزلفى وحسن مآب) (١) .

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال : « إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة : إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلى فاسمعوا عبادى ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط » .

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب « الزهد » لآبيه حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار « في قوله عز وجل : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال : يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش ، فيقول : يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم ، فيقول : إلهي كيف أجدك وقد سلبتني في دار الدنيا ؟ قال : فيقول : الله عز وجل ، فإني أردته عليك ، قال : فإردته عليه فيزداد صوته قال : فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني حدثنا مسكين بن بكير الأوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قال : « إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبث الله ريحاً فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع الله منها » .

حدثنا أبو بكر بن يزيد ، وإبراهيم بن سعيد قالا : حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهران عن عكرمة عن ابن عباس قال : « في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام ، فيتحدثون في ظلها فيشتبهى بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة ، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد بن سعيد الحراني قال : حدثت : « أن في الجنة آجماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتبهى أهل الجنة أن يسموا صوتاً حسناً بعت الله على تلك الآجام ريحاً فتأتهم بكل صوت يشتهونه » .

فصل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضراته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه ، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيمر بك أيها السفي من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألد لأذنك وأقر لميتك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى ، وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك .

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبدالله بن بريدة قال : « إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزرجد والذهب والزمرد ، فلم تقرأ أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم ، إلى مثلها من الفقد » .

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنة وخبولهم ومراكبهم

قال الترمذی حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا السعدي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل في الجنة من خيل ؟ قال : إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت ، قال : وسأله رجل ، فقال : يا رسول الله هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ولدت عينك » .

حدثنا سويد بن نصر أننا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه ، وهذا أصح من حديث السعدي حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الاحمسي ، حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا رسول الله إني أحب الخيل أفي الجنة خيل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان حملت عليه ثم طار بك حيث شئت » .

قال الترمذی : هذا حديث إسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه ، وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث . ضعفه ابن معين جداً ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : أبو سورة هذا منكر الحديث ، يروى منكبه عن أبي أيوب لا يتابع عليه .

قلت : أما حديث علقمة بن مرثد ، فقد اضطرب فيه علقمة ، مرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمر بن ساعدة قال : « كنت أحب الخيل فقلت هل في الجنة خيل يا رسول الله ؟ » .

ومرة يقول : قال رجل من الأنصار ، يقال له عمر بن ساعدة يا رسول الله

ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لأن سفيان أحفظ منه ، وأثبت . وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة : « إن أعرابياً قال يا رسول الله أفى الجنة إبل ؟ قال : يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة رأيت فيه ما تشتهى نفسك وتلد عينك » ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال : « والفردوس أعلاها سموا وأوسمها منه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إني رجل حبيب إلى الخيل فهل في الجنة خيل ؟ قال : إى والذي نفسى بيده إن في الجنة لحيلا وإيلا همافة تزف بين خلال ورق الجنة ، يتزاورون عليها حيث شاؤوا ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله إني حبيب إلى الإبل » وذكر الحديث . وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره ، وغير يحيى بن جابر الطائى وقد أخرج أبو داود حديث : « ستفتح عليكم الأمصار وتجنبدون إجنادا » وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته » وحديثاً آخر فى تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذى حديث « خيل الجنة » فقط . ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : « إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض ، كأنها الياقوت ، وليس فى الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل » .

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سميد حدثنا مروان ابن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصرى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث ، فقمعدوا عليها ثم طارت بهم فى الجنة ، فيتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تعالى : ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل ، إنما هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون (١٧ - حادى الأرواح)

رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيباً ، فيمرون بكثبان للسك ، فيمطر الله
على تلك الكثبان ريحاً ، فتهبها عليهم حتى إنهم ليرجمون إلى أهلهم وإنهم
لشعث غبر .

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال :
« في الجنة عتاق الخيل ، وكرائم النجائب » .

الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى : (فأقبل بعضهم على بعض يتسألون ، قال قائل منهم إني كان لي قرين ، يقول أئنك لمن المصدقين ، أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، قال هل أنتم مطلمون ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربي لسكنت من المضرين)^(١) فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة ، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً ، عن أحوال كانت في الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه يقول : أئنك لمن المصدقين ، وأنا نبعث ونجazy بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مرقتنا البلى ، وكنا تراباً وعظاماً ، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلمون في النار لتنظر منزلة قريني هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران : أحدهما أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : هل أنتم مطلمون ؟ رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم : هل أنتم مطلمون : والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب « بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى » .

وقوله : واطلع ، أى أشرف . قال مقاتل : لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلمون ؟

قالوا له : أنت أعرف به منا ، فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير : فعندها قال : تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين . أى إن كدت لتهلكنى ، ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب ، وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) (١) وقال الطبراني حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نعيم عن القاسم عن أبي أمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيتأور أهل الجنة ؟ قال : يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى ، إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا على التوق محتقين الحشايا . »

وقال الدورقي : حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى » وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ، وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر ابن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه « إن أهل الجنة يتزاورون على التجائب » وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستنزيرون بعضهم بعضاً ، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم . ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله : « كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظلمات نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يذبون فيها ، فقال : عبد نور الله قلبه » :

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سميد بن دينار

عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض ، قال : فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعوا جميعاً ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا في موضع كذا وكذا فمدعونا الله فغفر لنا » . قال : وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاوون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة ، لا تروث ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتينهم مثل السحابة فيها ما لأعين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : مطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانهم .

ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتدسف كسائب من مسك عن أيمنهم وعن شمائلهم ، فيأخذ ذلك للمسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ، ولكل رجل منهم حمة على ما اشتتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام ، وفي الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك ؟ فيقول : ما كنت علمت بمكانك . فتقول المرأة : أو ما علمت أن الله قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) فيقول : بلى ، وربى ، فامله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، لا يلتفت ولا يعود ما يشغلها عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة » .

حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال : « إن أهل الجنة ليتزاوون على العيس

الجون ، عليها رحال الميس ، تشير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو ابن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) (١) قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسياهم حول عرشه ، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمتها الدر الأبيض ، برحال الذهب أعناقها السندس والإستبرق ، وتمازقها ألين من الحرير ، مد خطاها مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة على خيول ، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه ، يضحك الله إليهم ، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه .

قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلال ، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت ، لا تروث ولا تبول ، لها أجنحة خطوها مد بصرها ، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ، فيقول الذين أسفل منهم درجة : يا رب بما بلغ عبادك هذه السكرامة ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون . »

فصل

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك
 وتعالى ، فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ، ويحل عليهم رضوانه .
 وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب ، إن شاء الله .

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : والله وأتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال « فيها كئيبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح » .

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة : حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد ابن حبيب بن أبي العسر عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة . فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . فقال سعيد أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أهل الجنة إذا دخلوها تزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دنى . على كئيبان المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب السكراسي بأفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : نعم ، قال : هل التمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقئ ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول : يا فلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : بلى . أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ،

قال : فيبينا هم على ذلك ، إذ غشيهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتيت ، قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها اللائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتيناه ليس يباع فيه ولا يشتري ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بمضهم بمضاً ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فهم ذنى ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيشة ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً بجنابنا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، وبحقنا أن نتقلب بمثل ما انقلبنا » ورواه الترمذى في صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس في هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى ، فلا ننسكرك عليه تفرد به عن الأوزاعى بما لم يروه غيره . وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى : هو ثقة : وأما دحيم والنسائى فضعفاه ، ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى والترمذى . قال : فى هذا الحديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحسن بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى قال : نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره . وقال الترمذى : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا انتهى الرجل الصورة دخل فيها » قال هذا حديث غريب .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق ، فينطلقون إلى كتيبان المسك ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم ، قالوا : إنا لنجد لسن ربحاً ما كانت لسن ، قال : فيقلن لقد رجعتن بربح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا » قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال : إن في الجنة سوقاً كثبان مسك يخرجون إليها ويحتممون إليها ، فيبعث الله ريحاً فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلهم إذا رجعوا إليهم : قد ازددتم أيضاً بعدنا حسناً .

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطهر : حدثنا أحمد بن محمد ابن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون ، فقال : يا معشر المسلمين إن في الجنة أسواقاً ما يباع فيها ، ولا يشتري إلا الصورة من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها » . والله أعلم .

الباب الحادى والستون

فى ذكر زيادة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الأزهري معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أنى جبريل بمرآة يضاء فيها وكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا ؟ قال : الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ساعة ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفيح فيه كتب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعطاكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيت ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يطمئنون فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه تقوم الساعة ، ولهذا الحديث طرق سنشير إليها فى باب المزيد إن شاء الله تعالى .

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن خبير بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الأسلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليندون فى حلة ويروحون فى أخرى كفندو أحدكم ورواحه ، إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يندون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل ، وذلك لهم بمقادير ومما لم يملكون تلك الساعة

التي يأتون فيهارهم عز وجل» قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه عليه السلام. وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال : « إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه ، فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى دواد عليه السلام ، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم يوضع مائدة الخلد قالوا : يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون : لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً ، فيقال لهم : لستم في دار عمل ، إنما أنتم في دار جزاء

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي ، قال : حدثني أبو إلياس قال : حدثني محمد بن علي بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنبل حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى بن عمران وكان من خيار الناس قال حدثنا إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال إدريس : ثم أقيت محمد بن علي بن الحسين ابن فاطمة فحدثني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لساير فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر . وأقنانها سندس واستبرق ، وثمارها حلل ، وصفها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وثرابها مسك وحشيشها زعفران ، منبع وإلا لجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار السلسيل والمعين والرحيق ، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يأتونه ومتحدث يجمعهم . فبينما هم يوماً يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباء جبلت من الياقوت ثم نفع فيها الروح مزومة بسلاسل من ذهب ، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، وبرها خز

أحمر ، ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، عليها رحائل الواحها من الدر والياقوت ، مفصصة بالؤلؤ والمرجان وصفاها من الذهب الأحمر ، ملبسة بالعقري والأرجوان ، فأناخوا إليهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم : إن ربكم تبارك وتعالى يقراءكم السلام ويستزركم لينظروا إليه ، وينظر إليكم ، وتحبونه وبحييكم ويكلمكم وتكلمونه ، ويزيدكم من سمته وفضله ، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم .

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ، ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلاً لا يفوق منه شيء شيئاً ولا يقرب أذن ناقة أذن صاحبها ولا تركب ناقة بركت صاحبها ، ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتخفتم بشمرها ، ورحات لهم عن طريقهم ، كراهية أن ينثلهم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه . فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم ، ونجلى لهم في عظمتها العظيمة ، فقالوا : ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام .

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني السلام ومنى السلام ولى حق الجلال والإكرام ، مرحباً بعبادى الذين حفظوا وصيقي ، وراعوا عهدي ، وخافوني بالقيب وكانوا منى على حال مشفقين ، قالوا : وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ، وما أديننا إليك كل حقك ، فائذن لنا بالسجود لك ، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم ، فلطالما ما أتعبتكم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجوه ، فالآن أفضيتكم إلى روحي ورحتى وكرامتى ، فاسألونى ما شئتم وتمنوا على أعطىكم أمانىكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ، ولكن بقدر رحتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى . فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب ، حتى أن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفتاها ، فقال لهم ربهم عز وجل : لقد قصرتم فى أمانىكم ورضيتكم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتكم وتمنيتم وألحقت بكم

ذريتكم وزادتكم ما قصرت عنه أمانيتكم » ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء، فيجمله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدي. وقال الدراقطني: متر. وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدري من هو. أما القاسم بن يزيد الموصلي الراوي عنه فمجهول أيضاً، ومثل هذا لا يصح رفعه. والله أعلم.

وقال الضحاك في قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) ^(١) قال: على النجائب عليها الرحال.

الباب الثاني والستون

في ذكر السحاب والمطر الذي يصيهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه ينشأم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط .

وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « إن من المزيـد أن تمر السحابة بأهل الجنة ، فتقول : ماذا تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى الجاني ، قال : سأل عبد العزيز ابن مروان عن وفد أهل الجنة قال : إنهم يقدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه ، فإذا قدوا عليه وأخذ القوم بحالهم قال الله تعالى : أطعموا عبادي وخلقى وجيراني ووفدى . فيطعموا ثم يقول : أسقوهم .

قال : فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها . ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهمهم ، فتجىء ثمرات شجر ندلى فيا كلون منها ماشاؤوا ، ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهموا أكسومهم ، فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر ، وكل لون لم تنبت إلا الحلال ، فتنتشر عليهم حللا وقصا ، ثم يقول : عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهموا وكسوا ، طيبوهم فيتناثر عليهم المسلك مثل رذاذ المطر .

ثم يقول : عبادي وجيراني وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا فسكهموا وكسوا

وطيبوا الأنجالين لهم حتى ينظروا إلى ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه فضررت وجوههم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها؟ فيقولون : ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضررت وجوهنا .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير المجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يترأفون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول ، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثل السحابة فيها ملاعين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيتهم ، ثم يبعث الله رجلاً غير مؤذية فتنسف كتبنا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقتها وفي رؤوسهم ولسكل رجل منهم جملة على ما اشتهدت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام . وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : عبد الله أما لك فينا من حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك . فيقول : ما كنت علمت بمسكانك ، فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) فيقول : بلى وربى فاعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم . »

فصل

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار ويجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يطر على الأرض أر بيمين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش ، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطيش عليهم ، وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ، ويشير لهم سحاباً في الجنة يطرهم ، ما شاؤوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يطر عليهم عذاباً إلى عذابهم ، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب ، سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلكهم فهو سبحانه بنشئه للرحمة والعذاب .

الباب الثالث والستون

في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً)^(١) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد « ملئاً كبيراً » قال عطاء ، وقال استئذان للملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن ، وقال كعب في قوله تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأني الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة ، وقال : بعضهم الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراراً أهل الجنة ثم تلا (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) .

وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملئاً كبيراً) قال : الملك الكبير ، إن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب : استأذن على ولي الله فأني لست أصل إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب ، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن ، وهو يدخل على ربه بلا إذن .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم » حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبي ، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني ، من يذود عليه

كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه » وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد ابن هلال : قال « ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا طلى عمل ليس عليه صاحبه » وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الجبلى قال « إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » .

حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنى لمن يقدر عليه عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه » .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد الله بن رجز عن محمد بن أبي أيوب الخزومي عن أبي عبد الرحمن المغافرى قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلغله ، حتى إذا مر مشوا وراءه » وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ، كما بين الجابية وصنعاء » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له : أبو الحجاج قال : جلست إلى أبي أمامة فقال : « إن المؤمن يكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم ، وعند طرف السماطين ، باب محبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب ، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه : ملك يستأذن ، ويقول للذى يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : إئذنوا له ، فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ، ويقول الذى يليه للذى يليه :

اثنوا له كذلك ، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان المنبري عن الضحاك بن مزاحم قال : « بينا ولي الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للأذن : استأذن لرسول الله على ولي الله ، فيدخل الأذن فيقول له : يا ولي الله ، هذا رسول من الله يستأذن عليك ، قال : ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي الله ، فيضع ما بين يديه تحفة ، فيقول : يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه ، قال : فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول : نعم أأكلت هذا الآن ، فيقول : إن ربك يأمرك أن تأكل منها ، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأنوا به متشابها) » (١) .

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب . كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربى ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ، ولدت عينك فيقول رضيت ربى » وذكر الحديث . وقد تقدم ذكره بتمامه .

وقال البزار في مسنده : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الحريري عن أبي بصرة عن أبي سميد قال : « خلق الله الجنة لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها : تسكمني ، فقالت : قد أفلج

المؤمنون ، فدخلها الملائكة ، فقالت : طوبى لك منزل الملوك « هكذا رواه وهيب عن الحريري موقوفا ، ورواه عدى بن الفضل عن الحريري فرغمه وقال البراز : ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد ، وعدى بن الفضل ليس بالحافظ ، وهو شيخ بصرى .

قلت : عدى بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه ، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم . والحديث صحيح موقوف . والله أعلم .

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم ، وإنما يلبسها الملوك .

الباب الرابع والستون

في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وأن موضع سوط

منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١)
وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ،
وكيف قابل فلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل
بقرة الأعين في الجنة .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قال الله عز وجل : أعددت لمبادئ الصالحين ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك في كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » .

وفي لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل : أعدت لمبادئ الصالحين ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ
(فلا تعلم نفس - الآية) » .

وفي بعض طرق البخاري « قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة أعين) » .

وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : « شهدت مع

الذي صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال في آخر حديثه :
 فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية
 (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون ،
 فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم
 حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا مشعر الجنة ، فإن للجنة
 لا خطر لها هي ورب السكبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز وقصر مشيد ، ونهر
 مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في
 دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة . ومحلة عالية بهية . »

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها ، لكفاها
 شرفاً وفضلاً . كما في سنن أبي داود من حديث سليمان بن معاذ عن ابن المنكدر عن
 جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله
 إلا الجنة » .

وفي معجم الطبراني من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الجنة عدن ،
 خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها :
 تسلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال : « سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما
 بين السماء والأرض » وهذا الإسناد على شرط الصحيحين .

وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب » قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد ابن أبي حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بنى ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سليمان : لا أعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض » .

وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو بن العاص « وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجمالها مقراً لأحبابه ، وملائها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملاكمها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بمخذافيره : وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن لاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصباها فهو اللؤلؤ والجوهر . وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب . وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق اللؤلؤ . وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن

سألت عن شراهم فالتسليم والزنجيل والكافور . وإن سألت عن آنتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

وإن سألت عن سمة أبوابها فبين المصرعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كطيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سمها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره ويساينه مسيرة ألفي عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام ، وإن سألت عن علائها وجواسقها فهي غرف من فرقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى السكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزرة بأزرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم ففناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التي يزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله عما شاء تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان . وإن سألت عن حلبيهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان . وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن السكوكب الأتراب ، اللاتي جرى

في أعضائهن ماء الشباب ، فلورد والتفاح مالمسته الحدود ، وللرمان ما تضمنته
النهود ، ولؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطفة ما دارت عليه الحصور ،
تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا
ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما نشأ في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة
الحبيين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها ،
كما يرى في المرأة التي جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره
جلدها ولا عظمها ولا حلقها . لو اطلمت على الدنيا لملائت ما بين الأرض والسماء
ريحا ، ولا استنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا ، ولتزخرف لها ما بين
الخافقين ، ولا غمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس
ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم . ونصيفها على رأسها خير
من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانها ، لا زداد على طول
الاحقاب إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا ، مبرأة من
الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من الخاط والبصاق والبول والغائط
وسائر الأدناس ، لا يهني شبابها ، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل
طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه
عليها في غاية أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ،
وإن غاب عنها حفظته ، فهو منها في غاية الأمان والأمان ، هذا ولم يطمئنها قبله
إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملائت قلبه سرورا ، وكلما حدثته ملائت أذنه لؤلؤا
منظوماً ومنشورا ، وإذا برزت ملائت القصر والفرقة بورا .

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن
فهل رأيت الشمس والقمر ، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أقصى بياض
في أحسن جور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت
عن النهود فهن السكواب ، نهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون
فسكانه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان ،
اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن
أفراح النفوس وقرّة النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن الغرب المتحبيبات إلى الأزواج
ببطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها . وإذا
انتقلت من قصر إلى قصر . قلت : هذه الشمس متنقلة في بروج فلسكها ، وإذا
حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة . وإن حاضرتة فيالذلة تلك المعانقة
والمخاصرة :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يحزن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يمل وإن هي حدثت ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيالذلة الأبصار والاسماع ، وإن آنت وأمتعت فياحبذا تلك
المؤانسة والإمتاع . وإن قبات فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نولت
فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه
عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن
الصديق المصدق النقل فيه ، وذلك موجود في الصباح والسنن والمسانيد . من
رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد ، فاستمع يوم
ينادي المنادي : يا أهل الجنة ، إن ربكم تبارك وتعالى يستبزيكم فحى على زيارته ،
فيقولون : سماعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت
لهم فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل
لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يقادر الداعي منهم أحداً ، أمر الرب تبارك وتعالى
بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أديانهم وحاشاهم أن يكون
فيهم دنيء على كثران للسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا ، حتى
إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأننت بهم أما كنهم نادى المنادي : يا أهل الجنة إن
لحكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا

ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويخرجنا عن النار . فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرموا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه ، قد أشرفت عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ومثلك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ، ولم يروني ، فهذا يوم للمزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضىنا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة ، إنى لولم أرض عنكم لم أسكنكم جنق . هذا يوم المزيد فاسألوني . فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم فيفساهم من نوره مالهوا أن تعالى الله قصى أن لا يحترقوا لا يحترقوا . ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره بيمض غدراته في الدنيا ، فيقول : يارب ألم تنفر لى ؟ فيقول : بلى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه .

فيالذة الاسماع بتلك المحاضرة وياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة وياذلة الراجمين بالصفقة الخاسرة . (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة) (١) .

فحقى على جنات عدن فإنها منازل الأول فيها الخيم
ولسكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ، كما يرى القمر ليلة البدر
وتجليه لهم ضاحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقربها لميون
أهل السنة والجماعة ، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة ، وهي الفاية التي شمر إليها
للمشركون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها للتسابقون ، ولشأنها فليعمل العاملون .
إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم
أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والرسلون ، وجميع الصحابة
والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، أنكرها أهل البدع المارقون ،
والجهمية المنهوكون ، والفرعونية المظلمون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان
منسلخون ، والرافضة الذين هم بمجائيل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ،
وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ، ولشكل عدو الله
ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

أو لك أحزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه . وقد أخبر الله
سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه ، وهو كليمه ونجيّه وصفيه من أهل الأرض ،
أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : (لن تراني ولكن انظر
إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (١) وبيان
الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يتسأل ربه مالا

يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال ، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟ !

جَنَزْ

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى لم ينسكرك عليه سؤاله ولو كان محالا لا ينكره عليه ، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يرهبه كيف يحبي الموتى لم ينسكرك عليه ، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إزال المائدة من السماء لم ينسكرك سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنسكرك عليه سؤاله وقال (إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تنقصر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (١)

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل لا تراني ، ولا أنى لست بمرئي ، ولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ، ولكن موسى لا تحتل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى بوضحة الوجه الرابع وهو قوله : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف . . ؟

الوجه الخامس : إن الله تعالى قادر على أن يحمل الجبل مستقراً مكانه ، وليس هذا بمتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول : إن

استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام ، فالأمران عندكم سواء .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو حماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريههم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذا الدار ، فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين ، فأنكروا أن يكلم أحد أو يراه أحد يراه أحد ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى « لن تراني » فإنما يدل على النفي في المستقبل ، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأييد فكيف إذا أطلقت قال تعالى : (ولن يتهنوه أبدا) مع قوله تعالى (ونادوا يا مالک ليقض علينا ربك) (١) .

فصل

الدليل الثانى قوله تعالى : (واتقوا الله واعلموا أنكم ملائكة) (١) وقوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله) (٢) وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من المعنى والموانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا يفتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) (٣) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصحيحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة ، بل والكفار أيضاً كما فى الصحيحين من حديث التجلّى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى : وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة .

أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنين .

والثانى : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه ، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه ولهم ، ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها ، وكذا قوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية) (٤) . إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطوراً مثبتاً . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاءه الذى وعد به .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩

(٤) سورة الانشقاق آية ٦

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣

(٣) سورة التوبة آية ٧٧

فصل

الدليل الثالث قوله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (١) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن ، فالصحابة من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناديا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويرحنا عن النار ؟ ! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة » وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البليخي عن نوح ابن أبي مريم عن أنس قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهى الجنة ، والزيادة : وهى النظر إلى وجه الله . »

وقال محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله ، قلت : عطاء هذا هو الخراساني ، وليس عطاء بن أبي رباح .

قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في كتاب الله

(١) سورة يونس الآيتان ٢٥، ٢٦

عز وجل قوله تعالى : (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) ^(١) قال الحسن : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل .

وقال أسد السنة : حدثنا قيس بن الربيع عن إبان عن أبي تيمعة الهيجمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم ، إن الله وعدكم الحسنى ، والحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

وقال ابن وهب أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تيمعة الهيجمي ، أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن » .

وأما الصحابة : فقال ابن جرير : حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهيدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه الله الكريم .

وهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة : (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال : النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وحدثنا علي بن عيسى حدثني شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال : سمعت أبو تيمعة الهيجمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة منادياً ينادي : هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد لهم من السكرامة فيقولون : نعم ، فيقول (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) النظر إلى وجه الرحمن عز وجل » .

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تيمية قال : سمعت
أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة
ملكاً إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون
فيرون الحلى والحلال والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقول : نعم . قد أنجزنا الله
ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات ، فلا يفقدون
شيئاً مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي لكم شيء ، إن الله عز وجل يقول :
(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله
تعالى .

وفي تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن
ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
لا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة) قال : أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى
وجه الله ، وأما الفتر فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي
والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد
ابن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبير : الحسنى
الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف في الآية :
(ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة) (١) بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ،
ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء
الجنة وقدر زائد عليها . ومن فسر الزيادة بالنفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية
الرب تبارك وتعالى .

فصل

الدليل الرابع : قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (١) ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ، ولم يسموا كلامه . كانوا أيضاً محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبراني وغيره عن المزي ، قال : سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءتة رقعة من الصميد فيها ما تقول في قول الله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في الرضى ، قال الربيع : فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل .

ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضاً ، وقال أبو زرعة الرازي : سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول : سئل محمد بن عبد الله بن الحكم ، هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال محمد بن عبد الله : ليس يراه إلا المؤمنون . قال محمد : وسئل الشافعي عن الرؤية فقال : يقول الله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففي هذا دليل على أن المؤمنون لا يحجبون عن الله عز وجل .

فصل

والدليل الخامس : قوله عز وجل : (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد)^(١) قال الطبراني : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

فصل

للدليل السادس : قوله عز وجل : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)^(٢) والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة ، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير والطفه ، وقال لي أنا ألزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله ، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله . فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح . ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكال ولا يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كنمذحه بنبي السنة . والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب ، والإحياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره . ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته . ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن مراً ثبوتياً . فإن المدموم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمدموم فيه فلو كان المراد بقوله : (لا تدركه الأبصار) أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كال ، لمشاركة المدموم له في ذلك . فإن العدم الصنف لا يرى ولا تدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتمالى أن يمدح

(١) سورة ق آية ٣٥

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣

بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة) أنه يعلم كل شيء وفي قوله : (وما مسنا من لغوب) أنه كامل القدرة وفي قوله : (ولا يظلم ربك أحداً) أنه كامل العدل وفي قوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أنه كامل القيومية .

فقوله (لا تدركه الأبصار) يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك ، بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا) (١) فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم : (إنا لمدركون) إنا لمرثيون . فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله « كلا » وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى) (٢) فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية .

قال ابن عباس : (لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأبصار ، قال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار ، وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمتهم وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط ، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا : اسقذالهم على نفى الصفات بقوله تعالى : (ليس كمثل شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعمت جلاله ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى

(١) سورة الشعراء آية ٦١ .

(٢) سورة طه آية ٧٢ .

بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء ، إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ، ولا شبيه ولا مثل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فأت أمثاله ، وبعد عن مشابهة أضرابه ، فقولته (ليس كمثله شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله (لا تدركه الابصار) من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) (١) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط بهم علماً وقدره وإرادة وسمماً وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا ، وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) (٢) فإنه سبحانه لمظمته تعالى أن تدركه الابصار وتحيط به ، وللطيفه وخبرته يدرك الابصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطيفه ، اللطيف فى عظمته ، العالى فى قربه ، القريب فى علوه ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

فصل

الدليل السابع قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناظرة ٥ إلى ربها ناظرة) (٣) وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً ، أن الله سبحانه يرى عياناً بالابصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلاً ، فتأويل النصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة ، كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص . وهذا الذى أفسد الدين والدنيا ، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله

(١) سورة الحديد آية ٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٣) سورة القيامة آية ٣٢ .

في هذه الآية وتمديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه الممدى إلى خلاف حقيقته ، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه ، إلى نفس الرب حل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتمديه بنفسه ، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : (انظرونا نقبَس من نوركم) (١) وإن عدى بغيره فمعناه التفكير والاعتبار كقوله : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله (انظر إلى ثمره إذا أثمر) (٢) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ ! .

قال يزيد بن هارون : أنبأنا مبارك عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره ، فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية قال ابن مردويه في تفسيره : حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي ناجة عن أبيه عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن ، إلى ربها ناظرة ، قال : في وجه الله عز وجل .

وقال أبو صالح عن ابن عباس ، إلى ربها ناظرة . قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل ، وقال عكرمة : وجوه يومئذ ناضرة قال : من النعيم إلى ربها ناظرة ، قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

فصل

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فتواترة ، مرواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله

(١) سورة الحديد آية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٩ .

البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبدالله بن مسمود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدى بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة ابن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي ، وجابر بن عبدالله الأنصاري ، وأبو أمامة الباهلي ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين ، وعبدالله بن عمر وعمارة بن روية ، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبي بن كعب ، وكعب بن عجرة وفصالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى .

فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح واللسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وإشراح الصدر لا بالتحريف ، والتبديل ، وضيق العطن ، ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين .

فصل

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم ابن إسحق الطالقاني ، قال حدثني النضر بن شميل للزاني ، قال حدثني أبو نمامة : قال حدثني أبو هنيذة البراء بن نوفل عن دالان المدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الفداة فجلس ، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ، ثم قام إلى أهله ، فقال الناس لأبي بكر : ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال : فسأله ، فقال : نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد ، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر ، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال : لقد لقيت مثل الذي لقيتم ، انطلقوا إلى أبيهم بعد أبيهم ، إلى نوح : (إن الله

اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (١) قال : فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً ، فيقول : ليس ذلكم عندي : انطلقوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله اتخذ خليله ، فينطلقون إلى إبراهيم ، فيقول : ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كلمه تكليماً ، فيقول موسى صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك عندي ، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى : ليس ذلكم عندي . انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل ، قال : فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل : إئذن له وبشره بالجنة ، فينطلق به جبريل ربه صلى الله عليه وسلم فيخر ساجداً قدر جمعة ، ويقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال : مبرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال : فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يمتعه على بشر قط ، فيقول : أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه لبرد على الخوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ، ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء . قال فيجئ النبي ومعه الصحابة ، والنبي ومعه الخمسة والستة . والنبي وليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، قال : فإذا فعلت الشهداء ذلك ، قال : فيقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً ، قال : فيدخلون الجنة ، قال : ثم يقول الله عز وجل : انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط ؟ قال : فيجدون في النار رجالاً ، فيقولون له هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع ، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى

عبيدى . ثم يخرجون من النار رجلاً يقول له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا ، غير أنى أمرت ولدى إذا مت ، فأحرقونى فى النار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل السكحل فاذهبوا بى إلى البحر فأذرونى فى الريح ، فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً . فقال الله عز وجل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك ، قال ، فيقول الله عز وجل : انظر إلى ملك أعظم منك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال فيقول : أنسخربى وأنت الملك ، وذلك الذى ضحكك منه من الضحى .

فصل

وأما حديث أبى هريرة وأبى سعيد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أن ناساً قالوا يارسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا ، قال فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد القمر شيئاً فليتبعمه ، فليتبعم من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعمونه ، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يحيز ولا يتسكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يارسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تحطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيمرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر

السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فيلبثون كما
 نبتت الحبة في حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين المباد ويبقى رجل مقبل
 بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أى رب اصرف وجهي
 عن النار ، فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكائها ، فيدعو الله ما شاء أن
 يدعو ، ثم يقول تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول :
 لا أسألك غيره . فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن
 النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكنت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب
 قدمنى إلى باب الجنة ، فيقول الله أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير
 الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! ! فيقول أى رب فيدعو الله حتى
 يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ؟ فيقول : لا وعزتك ،
 فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب
 الجنة انقهرت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فسكت ما شاء الله أن
 يسكت ، ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد
 أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألنى غير ما أعطيت ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ؟ !
 فيقول : أى رب ، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ،
 فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تمنى ، فيسأل ربه
 ويتمنى حتى أن الله ليذكره فيقول : تمنى كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الآمانى ،
 قال عز وجل : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه .

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه
 شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة قال : إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه .
 قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله
 معه ، قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :
 ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة . وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا
 الجنة .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبى سعيد الخدرى « أن ناسا في زمن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة محواً ليس معها سحب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر محواً ليس فيها سحب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ؟ قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كانت تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ، ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى حد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب ، إلا يتسقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر - فاجر ، وغبرات أهل الذناب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون في النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتهم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أنا هم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها . قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : ياربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون : نموذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقواون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كاد يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه .

ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة . قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة

تسكون بنجد فيها شوبكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق
وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ، ومخدوش مرسل ،
ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلاص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده
ما من أحد منكم ناشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة
لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ،
فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، قد
أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن
أمرتنا ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ،
فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون : ربنا لم ندر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول :
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ،
ثم يقولون : ربنا لم ندر فيها خيراً قط ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن
لم تصدقوني بهذا الحديث فافروا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) (١) . فيقول الله عز وجل : شفعت
الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط فدعوا حملاً فيلقهم في نهر في أفواه
الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون
إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون
منها إلى الظل يسكون أبيض . فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال :
فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء
عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول :
ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تمنع أحداً من
المالين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : يا ربنا وأي شيء أفضل
من هذا ؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال : « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (١) ، رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن إدريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلي بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله ابن نعيم ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفالوي وزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن ابن صالح بن حي وورقاء بن عمرو وعمار بن رزيق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونهر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر وزيد ابن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ومعمّر بن سليمان وجمهر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومنديل بن علي وأخوه سنان بن علي وعمر بن يزيد وعبد الغفار ابن القاسم ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلي بن القاسم السكندی وعبيد بن الأسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلّى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد ابن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجمعي وعثمان بن علي وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو ابن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن ابن دينار وسلام بن أبي مطيع وداود بن الزرقان وحماة بن أبي حنيفة ويمقوب بن

ابن حبيب وحكم بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة
النهان بن ثابت وعمرو بن سمر الجمعي وعمرو بن عبد الغفار التيمي وسيف بن
هارون البرجمي أخو سنان وعابد بن حبيب ومالك بن سمير بن الحمصي ويزيد
ابن عطاء مولى أبي عوانة وخالد بن يزيد العصري وعبد الله بن موسى وخالد بن
عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمربن سليمان
الرقى ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم بن
طهمان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروح
وزيد بن أبي أنيسة، وجوده فقال : « فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا
القمر » وأبو شهاب الخياط وقال « سترون ربكم عياناً » وحارثة بن هرم
وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي والحسن بن أبي جعفر
والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرّة
العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن حى وزفر بن الهذيل والقاسم
ابن معن ، تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن
سميد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب
كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي
خالد وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس وشهد قيس بن أبي حازم على جرير
ابن عبد الله وشهد جرير بن أبي حازم عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شيء أقر
لأعينهم منه ، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ
الصائبة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم ،
وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها ، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله
ولو كره الكافرون .

فصل

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحة من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ^(١) ، وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي كريمة الحارثي حدثنا محمد بن سلمة الحارثي عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، قال : ويزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ، ثم ينادى مناد : أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا : بلى ، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا ، قال : فينطلقون ، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون . فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشياء ما كانوا يعبدون ، قال : ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن

(١) سورة يونس آية ٢٦

كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ، وبيقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمه ، فيأتيهم
الرب عز وجل فيقول : ما بالسك لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال ، فيقولون :
إن لنا إلهاماً رأيناه بعد ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا
وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه ، قال فيقول ماهي ؟ فيقولون يكشف عن ساقه ،
فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياحي
البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالون ،
ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فثمن
من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسمى بين أيديهم ، ومنهم من يعطى نوراً
أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة يمينه ، ومنهم من يعطى نوراً
أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه بضعة مرة ،
ويطفا مرة . فإذا أضاء قدم قدمه ومشى ، وإذا طوى قام والرب تبارك وتعالى أمامهم
حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال : ويقول مروا فيمرون على قدر
نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ،
ومنهم من يمر كانهض السكوك ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشدة
الفرس ، ومنهم كشدة الرحل حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو
على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ، وتصيب
جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلاص وقف عليهم ثم قال : الحمد لله
لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى
غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ربيع أهل الجنة والوأنهم ، فيرى ما في
الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلني الجنة . فيقول الله تبارك وتعالى له : أنسأل
الجنة وقد نجيتك من النار ؟ فيقول يارب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع
حسيسها . قال : فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك ، كأنما الذي
هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول : فاعلمك إن أعطيتك
تسأل غيره ؟ فيقول : وعزتك لا أسأل غيره ، وأي منزل يكون أحسن منه ؟ قال
فيعطاه فينزله . قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطني
ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فاعلمك إن أعطيتك تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك
لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه ؟ قال : فيعطاه فينزله قال : ويرى

أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول : رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله : فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره ، قال لا وعزتك لا أسأل غيره . وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزل ثم يسكت ، فيقول الله عز وجل : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيها وعشرة أضمانه ؟ فيقول : أنستهزى بى وأنت رب العزة ، فيضحك الرب عز وجل من قوله . قال : فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ بهذا المسكان من هذا الحديث ضحك . فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً ، كلما بلغت هذا المسكان من هذا الحديث ضحكت ؟ فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المسكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه . قال : فيقول الرب عز وجل : لا ، ولست أكنى على ذلك قادر سل ، فيقول : ألحقى بالناس فيقول : الحق بالناس فينطلق يرمى في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيختر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى أو تراءى لى ربى ، فيقال له إنما هو منزل من منازلك . قال ثم يلتقى فيها رجلاً فتيهاً للسجود فيقال له مه مالك ؟ فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر . قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقيها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بمحمرأ كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء ، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عبه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك ، فيقول لها : والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً ، فنقول له : والله والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً . فيقال له : أشرف قال : فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره ، قال فقال عمر : ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب ، عن أدنى أهل الجنة منزلاً فيكف أعلام ؟

قال كعب : يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمار من الأزواج والثمار والأشربة ، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ^(١) قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ، ثم قال : من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ، ليخرج فيسهر في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون برمحه فيقولون : واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين ، قد خرج يسير في ملكه ، فقال : ويحك يا كعب هذه للقلوب قد استرسلت فاقبضها ، فقال كعب : والذي نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يحرق لركبته حتى إن إبراهيم خليل الله يقول « رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو » .

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدراقطى في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا الدلائى حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد ابن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة .

فصل

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصنف حدثنا
 سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن
 علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزور أهل الجنة الرب
 تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون . قال : ثم يقول الله تبارك وتعالى :
 اكشفوا حجابا ، فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن
 وجهه ، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، وهو قوله تبارك وتعالى (ولدينا
 مزيد) (١) » .

فصل

وأما حديث أبي موسى في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين
 القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في
 جنة عدن » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة
 عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : « يجتمع الله الأمام في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع
 بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيقيمونهم حتى يحمونهم النار ثم يأتيانا
 ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون ،
 فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : وهل تعرفونه إن

رأيتموه ؟ فنقول نعم إنه لأعدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول : أبشروا يا معشر المسلمين ، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه . »

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة » .

وذكر الدارقطني من حديث أبان بن أبي عياش عن أبي تميمه الهجيمي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

فصل

وأما حديث عدى بن حاتم في صحيح البخاري قال : « بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال ، يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبت عنها قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ، قلت : فيدنا بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين سمعوا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليقين الله أحداكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيهلكك ؟ فيقول : بلى ، يارب فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

قال عدى بن حاتم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق

عمرة، فمن لم يجد شق ثمرة فبكلمة طيبة، قال عدى: فرأيت الظمينة ترتحل من الحيرة تطوف بالسكبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن اقتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «

فصل

وأما حديث أنس بن مالك، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك. وفي لفظ فيلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يرخصنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقول: أنت أبو الحلق، خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يرخصنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائثوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل، قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائثوا إبراهيم الذي اتخذته الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائثوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائثوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائثوا محمداً صلى الله عليه وسلم، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي، فأشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد

ربى بتحميد يملئنيه ربى ، ثم أشفع : فيجحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال : فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة ، قال : فأقول يارب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود » .

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال : « يلقى الناس يوم القيامة ماشاء الله يلقوه من الحبس فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا ، فذكر الحديث إلى أن قال « فينطلقون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها ، فأطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجداً » وذكر الحديث .

وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث ، فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً ، وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، فأتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً . وساقه ابن خزيمة بسياق طويل ، وقال فيه : فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً .

ورؤية النبى صل الله عليه وسلم لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفى حديث أبى هريرة « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة ، فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً » .

وقال الدارقطني : حدثنا محمد بن إبراهيم النسائي المدل بمصر حدثنا عبد الله ابن محمد بن جعفر القاضى حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) قال « النظر إلى وجه الله عز وجل » .

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سميد بن هارون الأصهباني ومحمد بن جعفر ابن أحمد الطبري ومحمد بن علي بن إسماعيل الأيلي ، قال : حدثنا عبد الله بن روح المدائني حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجريير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أتاني جبريل وفي كفه كالرآة البيضاء يحملها ، فيها كالنكتة السوداء فقلت : ما هذه التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ، قلت : وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير ، قلت : وما يكون لنا فيها ؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم ، إلا أعطاه إياه ، أوليس له بقسم إلا ذخره في آخرته ما هو أعظم منه ، قلت : ما هذه النكتة التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد ، قلت : وما ذلك يا جبريل ؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه ككتابان من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحذف الكرسي بكراسي من نور ، فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكرسي ويحذف الكرسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر ، ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم ، حتى يجلسوا على تلك الكتابان ، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول : أنا الذي صدقكم وعدى وأتممت عليكم نعمتي وهذا عمل كرامتي ، فسلوني ، فيسألونه ، حتى تنفسي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء ، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدلّيات فيها ، فجلسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة » .

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجل به الشافعي مسنده ، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني

أبو الأزهري عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه . ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيهها به وزاد فيه أشياء . ورواه محمد بن إسحاق ، قال : حدثني إيث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقي الحديث ، ورواه عمرو بن أبي قيس عن أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده وفيه : « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حفر الكرسي بمنابر من نور ، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويحيى أهل الغرف حتى يجلسوا على السكث ، قال : ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ، فينظرون إليه فيقول : أنا الذي صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي أسألوني ، فيسألونه الرضى ، قال رضائ آمن لكم داري ، وأنا لكم كرامتي سلوني فيسألونه الرضى ، قال : فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم » وذكر الحديث ، ورواه علي بن حرب حدثنا إسحاق ابن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري عن إيث بن أبي سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم .

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال سمعته يقول : « بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء ، قلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا يوم الجمعة ، يمرضه عليك ربك ليسكون لك عيداً ولاملك من بعدك ، قال : قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة . وهو سيد أيام الدنيا ، ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد ، قال : قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن الله اتخذ في الجنة وادياً أبيض ، من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي ، وقد حفر الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر ، وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور . ثم يؤذن لأهل

العرف فيقبلون يخوضون كشيان المسك إلى الركب ، عليهم أسورة الذهب والفضة
وثياب السندس والحرير ، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى ، فإذا اطمأنوا فيه جلوساً
بمئ الله عليهم ريحاً يقال لها المثيرة ، فاثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم
وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم
خلقه الله عز وجل ، فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة ،
فيقول : يا رضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى ، فإذا رفع الحجب بينه
وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته : ارفوا
رؤوسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء ، سلونى ماشئتم فأنا
ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمى ، فهذا محل كرامتى فسلونى
ما شئتم ، فيقولون : ربنا وأى خير لم تفعله بنا ، أأست أعنتنا على سكرات الموت ،
وأنست منا الوحشة فى ظلمات القبور ، وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور ؟ أأست
أقلت عثراتنا ، وسترت علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أقدامنا ؟ أأست
الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لداذة منطقتك ، وتجليت لنا بنورك فأى خير لم
تفعله بنا ؟ فعمود بالله عز وجل ، فيناديهم بصوته فيقول : أنا ربكم الذى صدقتكم
وعدى ، وأتممت عليكم نعمى فسلونى ، فيقولون : نسألك رضاك فيقول : برضاى عنكم
أقلتكم عثراتكم ، وسترت عليكم القبيح من أموركم ، وأدنيت منى جواركم ،
وأسمعتكم لداذة منطقتى وتجليت لىكم بنورى ، فهذا محل كرامتى فسلونى ،
فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ،
ثم يقول عز وجل : سلونى ، فيقولون : رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله
وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك
مقدار تفرقهم من الجمعة ، قال أنس : فقلت بأبى وأمى يارسول الله وماء قد ار
تفرقهم ؟ قال : كقدر الجمعة إلى الجمعة ، قال : ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى
معه الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل العرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان
من زمردتين خضراوين وليسا إلى شىء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم
عز وجل ، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته . قال أنس : سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد .

ورواه الدارقطني أيضاً عن أبي بكر النيسابوري قال أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس، ورواه محمد بن خالد بن جني حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال : قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه أبو بكر بن أبي شذبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان ابن أبي حميد عن أنس ورواه عن الأسود بن عامر قال ذكر لي عن شريك عن أبي اليعقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الإبانة من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة . وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طرقه .

فصل

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » .

فصل

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شمعة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خدّاش عن أبي رزين قال : « قلنا : يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال : نعم ، قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أليس كلّكم ينظر إلى القمر ليلة البدر ؟ قلنا : نعم ، قال : الله أكبر وأعظم . »

قال عبد الله قال أبي والصواب حدس . وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شمعة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه للطويل وأبو رزين العقيلي له حجة وعداده من أهل الطائف . وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة ، هكذا قال البخاري ، وابن أبي حاتم وقيل : هما اثنان ، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة . والصحيح الأول . وقال ابن عبد البر : من قال لقيط بن صبرة نسبة إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة .

فصل

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد حدثنا روح بن جريح قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا ، أي فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تمبد الأول ، فالأول ، ثم يأتي بنا ربنا بعد ذلك فيقول : ومن تنتظرون ؟ فيقولون : نتنظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم : فيقولون حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك . قال : فينطلق بهم ويتبعونه ويمطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه على جسر

جهنم وعليه كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوهم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من خير ما يزن شعيرة . فيجملون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ، ويذهب حرقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها .

رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله : على كذا وكذا . قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين « نحن يوم القيامة على تل مشرقين على الخلاق » .

وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثني ابن جريج قال أخبرني زياد ابن سمع أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لهم الرب تبارك ينظرون إلى وجهه ، فيخرون له سجداً ، فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة » .

وقال الدارقطني : أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شريحيل الصنعاني قال حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا » ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد ابن سمع حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ، فذكر الحديث ، وفيه : فيقولون أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعم أنه لا عدل له ، قال : فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، فيخرون له سجداً » .

وقال ابن ماجه في سننه : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا

أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنسكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سائرهم من فوقهم رحيم) (١) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره . »

وقال حرب في مسائله : حدثنا يحيى بن أبي حزم حدثنا يحيى بن أبو عاصم العباداني فذكره . وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنسكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف . فقال تعالى : يا أهل الجنة سلوني . قالوا نسألك الرضى عنا قال : رضائي أحلكم داري وأنا لك كرامتي ، هذا أوانها فسلوني ، قالوا : نسألك الزيادة . قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن : نحت الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله عز وجل بكشبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها : المثيرة ، حتى تنفث بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة ، فتقول الملائكة : ياربنا قد جاء القوم ، فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائمين ، قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ، ثم يقول : ارجعوه إلى القصور بالتعفف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى : (زلا من غفور رحيم) (٢) .

رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية قال : وقد مضى في هذا

(١) سورة يس آية ٥٨ .

(٢) سورة فصلت آية ٣٢ .

الكتاب ، وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر ، وقال الدراقطنى : أنبأنا الحسن ابن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القظان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لآبى بكر خاصة » .

فصل

وأما حديث أبى أمامة قال ابن وهب أخبرنى يونس بن زيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته ، فكان فيما قال لنا يومئذ : إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه ، والله خليفة على كل مسلم ، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالاً ، ياعباد الله ائمتوا وإنه يبدأ فيقول : أنا نبي ولا نبي بعدى ، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولن تزوا ربكم حتى تموتوا ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن . فمن لقيه منكم فليقبل في وجهه وليقرأ الفوانح سورة أصحاب الكهف ، وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فليقتلها ثم يحياها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها ، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا ، فناره جنة وجنته نار ، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تسكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وإن أيامه أربعون يوماً : يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة فيسمى قبل أن يبلغ بابها الآخر ، قالوا : فكيف نصلى يا رسول الله في تلك الأيام ؟ قال تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال » ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن القرح عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرو .

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت ، فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثني أبو بكر قال حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال : قل حين تصبح : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فشيتك بعني يديه ، ماشئت كان وملم تشألم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير ، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم ، أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى علي ، أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا جلال والإكرام ، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً . إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق ، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور ، وأشهد أنك إن تسكنني إلى نفسي تسكنني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي إنك أنت التواب الرحيم » رواه أبو داود في صحيحه .

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق الأزرق عن
شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز : « قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا
ذلك فقال : ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى ، قال : أما إنى قد دعوت فيها
بدعاء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به : اللهم بملك الغيب وقدرتك
على الخلق أحيى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفى إذا علمت الوفاة خيراً لى ، وأسألك
خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ،
ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .
اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » وأخرجه ابن حبان والحاكم
فى صحيحيهما .

فصل

وأما حديث عائشة : فى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة عنها
قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال بلى
يشرك الله بخير . قال : شعرت أن الله أحيا أباك فأقدمه بين يديه فقال : تمنى على عبدى
ماشئت أعطه . قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك آتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا
فأقاتل مع نبيك ، فأقتل فىك مرة أخرى ! قال إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع »
وهو فى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله .

وللترمذى فيه سياق أنم من هذا عن جابر قال : « لما قتل عبد الله بن عمرو
ابن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ألا أخبرك ما قال الله
عز وجل لا يبيك ؟ قال بلى . قال : ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب

وكلم أباك كفاحاً. فقال : يا عبدى تمن على أعطك . قال : يارب محببى ، فأقبل فبك
ثمانية ، قال : إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورأى
فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً -
الآية) (١) « قال الترمذى هذا حديث حسن غريب . قلت وإسناده صحيح ورواه
الحاكم فى صحيحه .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر ، فقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد عن شعبة
عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة ، وقال للطبرانى حدثنا أسد بن موسى حدثنا
أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن
عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل
ينظر فى ملكه إلى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه ،
وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين » .

قال الترمذى : وروى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن
عمر مرفوعاً ، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً .
وروى الأشجعى عبيد الله بن سفيان الثورى بن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر
نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة بن شعبة عن
إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (٢) .

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريب بن حكيم عن نافع عن ابن
عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم القيامة أول يوم نظرت فيه

(١) سورة آل عمران آية ٢٦٩ .

(٢) سورة القيامة آية ٢٣ .

عين إلى الله تبارك وتعالى » ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه .

وقال الدارقطني : حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الحياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، فذكر الحديث - إلى أن قال - حق . إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم ، فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل ، فيقول : يا أهل الجنة هلالوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتسبحوني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجأوبون بهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود : يا داود قم فمجدني . فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل » .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الحياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلّى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن ، ففسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن » .

فصل

وأما حديث عمارة بن ربيعة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد النافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن ربيعة عن أبيه قال : « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضارون في رؤيته » .

فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا .

قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا السعدي عن إسماعيل بن أبي خاله عن أبي بكر بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى ، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها ، فافعلوا . »

فصل

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال : « يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : يانبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك ، قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ، يأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا ؟ فيقال محمد ، فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له » الحديث .

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير الضبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان . وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو ابن عبيد العصري قال حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفي المرايا وأحسنها وإذا في وسطها

سكتة سوداء ، قال : قلت : يا جبريل ما هذه ؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها .
قال قلت : وما هذه اللمعة في وسطها ؟ قال هذه الجمعة ، قال قلت : وما الجمعة ؟
قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبر بك بشرفه وفضله وإسمه في الآخرة . أما شرفه
وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق ، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة
لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه . وأما شرفه
وفضله وإسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صبر أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل
النار إلى النار ، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله
مقدار ذلك وساعاته ، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل
الجنة إلى جمعهم نادى منادياً : يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار الزيد ، لا يعلم سعيه
وعرضه وطوله إلا الله عز وجل ، في كثبان من المسك قال فيخرج غلمان الآبياء
بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، قال : فإذا وضعت لهم
وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى للثيرة ، تثير عليهم
آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرج في وجوههم وأشعارهم ، فتلك
الريح أعلم كيف تصنع بذلك للمسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن
الله تعالى ، قال : ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة
وبينهم وبينهم الحجب ، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين
أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقة رارسلني واتبعوا أمري فسلوني فهذا يوم الزيد ،
قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : ربنا رضينا عنك فارض عنا ، قال : فيرجع الله
تعالى في قولهم إن يا أهل الجنة أني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني
فهذا يوم الزيد ، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا ، قال :
فيرجع الله عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم
جنتي فهذا يوم الزيد فسلوني ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة : رب وجهك رب
وجهك أرنا ننظر إليه ، قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم
فيفشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لا تحرقوا بما غشبهم من
نوره ، قال : ثم يقال ارجموا إلى منازلكم ، قال : فيرجمون إلى منازلهم وقد
خفوا على أزواجهم وخفي عليهم بما غشبهم من نوره ، فإذا صاروا إلى منازلهم

يزاد النور و مكن حق يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم :
لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك
وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم ، قال : فلهم في كل سبعة أيام
الضمف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من
قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) « (١) » .

وقال عبد الرحمن بن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن
يزيد السمدى عن حذيفة في قوله عز وجل : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) « (٢) »
قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال الحاكم ، وتفسير الصحابي عندنا في
حكم للرفوع .

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن
جدعان عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس فقال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ما من نبي إلا وله دعوة تجعلها في الدنيا ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة
لأمتى يوم القيامة ، فأتى باب الجنة فأخذ بمحقة الباب ، فأقرع الباب فيقال : من
أنت ؟ فأقول : أنا محمد فأنتى ربى وهو على كرسية أو على سريره ، فيتجلى لى ربى
فأخر له ساجداً » ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبى سعيد بدل
ابن عباس . وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمى محمد بن الأشعث حدثنا ابن
جبير قال حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى فى كل يوم جمعة فى رمال الكافور
وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال الصنعاني حدثنا صدقة بن عمرو المقدي قال : قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال : « خلق الله الملائكة لمبادته أصنافاً فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلي لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » .

فصل

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني حدثنا عبد الصمد بن طي حدثنا محمد ابن زكريا بن دينار قال حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل : وأما حديث كعب بن عجرة . فقال محمد بن حميد : حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى » .

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال ابن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن
 أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول : « اللهم إني أسألك
 الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى
 لقاءك ، في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت في مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى بن
 سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة
 بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد حدثتكم عن الدجال حتى
 خشيت أن لا تمقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين
 سبت بناتة ولا جعراء . فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنسكم
 لمن تروا ربكم حتى تموتوا » .

وأما حديث الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الصنعاني حدثنا
 حروح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة يخطب على المنبر
 جالداً ثم فجعل يمط حتى بكى وأبكنا ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يمطه :
 « يا بني أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت ،
 وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت
 خلافاً — نسي عباد اسمه — ما بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال :
 « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته ،
 ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت مـلـكاً يسبح الله تعالى ، قال : وملائكة
 سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم
 القيامة ، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا

كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم ، فنظروا إليه قالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نميدك .

فصل

وهناك بمض ما قاله بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الإسلام بهم .

قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال أبو إسحاق عن عامر بن سمد قرأ أبو بكر الصديق : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالده العنبري عن أبي الاحوص عن أبيه إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول : « من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته » .

قول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه المسجدة مسجد الكوفة يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : « والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر . قال فيقول ما غرك بي يا بن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت الرسائل ثلاثاً ، كيف عملت فيما علمت » وقال ابن أبي داود : حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال :

نعم ، وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود « الزيادة » النظر إلى وجه الله عز وجل .

قول معاذ بن جبل : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أنبأنا إسحاق بن أحمد الخزاز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المنيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال : « كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق ابن سلمة : يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال بلى . سمعته يقول : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا محتجب الله منهم ، ولا يستتر ، قلت : من للمتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمروا إلى الجنة »

قول أبي هريرة رضى الله عنه : قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي النصر أن أبا هريرة كان يقول « لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت » .

قول عبد الله بن عمر : قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبيجر عن ثوير عن ابن عمر قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أدنام كما يرى أقصاه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين » .

قول فضالة بن عبيد : ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي الحليس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول : « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد الميث بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك » وقد تقدم .

قول أبي موسى الأشعري : قال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تيمعة عن أبي موسى قال : الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علي عن التيمي عن أسلم الميحي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم . فقال : ما صرف أبصاركم عني ؟ قالوا الهلال . قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة ؟

قول أنس بن مالك : قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل : (ولدينا مزيد) (١) قال : يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة . قول جابر بن عبد الله : « قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خرواله سجداً فيقول : يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعهده » .

قال الطبري : فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجابر وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى ابن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحبيب ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الدارقطني : أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا حفص بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح .

وقال البيهقي : رويناه في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم فيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا ، كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف ، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا ، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجمعين .

فصل

وأما التابعون ونزل الإسلام وعصاة الإيمان ، من أئمة الحديث والنفقة والتفسير وأئمة التصوف ، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل قال سعيد بن المسيب : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه مالك عن يحيى عنه . وقال الحسن : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه ابن أبي حاتم عنه . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلي ، عكره سفيان عن أبي إسحاق عنه ، وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير بن ليث عنه . وقاله عكرمة ومجاهد : وقتادة والسدي والضحاك وكعب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجى أولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرم يوم القيامة .

وقال الحسن : لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا .

وقال الأعمش وسعيد بن جبير : إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية ، وقال كعب : ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال طيبى لأهلك . فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفي عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا ، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً ، ثم يرجعوا إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك . وقال هشام بن حسان إن الله

سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجمعدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة.

وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية: (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شأوا فيقول الله عز وجل لهم إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء فالحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل: (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) (١) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى، وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) (٢) قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً، وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحد عنه إلا عذبه ثم قرأ: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم. ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (٣) قال: بالرؤية. ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عنهم أخذوا، وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوماً فزل إلينا من الدرجة التي في داره جلس أوسطها كأنه مغضب، فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومندر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك ابن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن هودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعني بشر المريسى.

(١) سورة يونس آية ٢٦. (٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) سورة المطففين آية ١٥-١٧.

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظر آثمهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومنهاجهم: ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصري حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: «الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم» .

وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قوله عز وجل: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) أنظر إلى الله عز وجل! قال نعم، فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ماعنده، قال بل تنظر إليه نظراً وقد قال موسى يارب أرني أنظر إليك، قال لن تراني وقال الله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)^(١)

وذكر الطبري وغيره أنه قيل للمالك إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك السيف السيف. ذكر قول ابن الماجشون. قال أبو حاتم الرازي قال أبو صالح كاتب الليث أُمي على عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جمعت الجهمية فقال: لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جمعدوا قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة)^(١) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجمعدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرتهم إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فو رب السماء والأرض ليجمعان رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضرب بها وجوههم دون المجرمين وتفلاح بها حججهم على الجاحدين وهم على ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولم عذاب أليم. ذكر قول الأوزاعي. ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه حين يقول: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) فجمعد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه.

ذكر قول الليث بن سعد : قال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد بن مسلم يقول سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية . فقالوا : تمر بلا كيف قول سفيان بن عيينة : ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي ، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال يصلي خلف الجهمي : والجهمي الذي يقول : لا يرى ربه يوم القيامة .

قول جرير بن عبد الحميد : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة : أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه .

قول عبد الله بن المبارك : ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن « خداراً . بأن جهان جون ببيند » ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟ فقال : بالعين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن إسحق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت ابن المبارك يقول : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون : ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) (١) . قال ابن المبارك : بالرؤية .

قول وكيع بن الجراح : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا للؤمنون . قول قتبية بن سعيد : ذكر ابن أبي حاتم عنه قال : قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة والإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية .

قول أبي عبيد القاسم بن سلام : ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عند هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال : هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن

صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا : لا تفسر منها شيئاً ولكن نخفيها كما جاءت .

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد : قال المروزي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال : أحلف عليها بالطلاق وبالشئ أنها حق .

قول محمد بن إدريس الشافعي : قد تقدم رواية الرابع عنه أنه قال : إنه قال في قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياء الله يرونه في الرضا . قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وتقول به ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لماعبده .

وقال ابن بطة حدثنا أبو القاسم الأنطاقي صاحب المزي قال : قال الشافعي رحمه الله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل : قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد : أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد : صحيح ، قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدهه إلا كل مبتدع أو ضعيف للرأى .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال : إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) (١) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود : سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال : من قال إن الله لا يرى فهو كافر .

(١) سورة القيامة آية ٢٣ .

وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجله
عن أبي العطف إن الله لا يرى في الآخرة ، فقال : لمن الله من يحدث بهذا الحديث
اليوم ، ثم قال أخزى الله هذا ، وقال أبو بكر المروزي : قيل لأبي عبد الله :
تصرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر : إن استقر
الجليل فسوف تراني . وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة ، فنضب
أبو عبد الله غضباً شديداً حتى قبين في وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نمطه
وانتمل ، وقال أخزى الله هذا . لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن
هارون رواء أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ، ما قال الله عز وجل :
(وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ
لخجويون) أخزى الله هذا الحديث ، قال أبو عبد الله : ومن زعم أن الله لا يرى
في الآخرة فقد كفر ، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل : (هل
ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (١) ، (وجاء ربك والملك
صفاء صفاء) (٢) فمن قاله إن الله لا يرى فقد كفر ، وقال إسحق بن إبراهيم بن
هانيء سمعت أبا عبد الله يقول : من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي ، والجهمي كافر .

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان : قيل لأبي عبد الله : أهل الجنة
ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ، ينظر إليهم
وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤوا إذا شاؤوا .

وقال حنبل بن إسحق سمعت أبا عبد الله يقول : القوم يرجعون إلى التعميل في
أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم . قال
حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد
كفر ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد
كفر ورد على الله قوله ، قال أبو عبد الله : فمنعنا نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها
ونمرها كما جاءت .

وقال الأثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأمّا من يقول إنّ الله لا يرى في الآخرة فهو جهل ، قال أبو عبد الله وإنما تسكّم من تكلم في رؤية الدنيا . وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول : « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » . وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول : « أدركنا الناس وما يتكروّن من هذه الأحاديث شيئاً — أحاديث الرؤية — وكانوا يتحدثون بها على الجملة يمرّونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين » وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا) (١) . وكمّ الله موسى من وراء حجاب فقال : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني) (٢) فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكمّار لا يرونه ، قال حنبل : وسمعت أبا عبد الله يقول : قال الله تعالى : (وجوه يومئذ مُّصْفرة . إلى ربها ناظرة)

والأحاديث التي تروى في النظرة إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره « وتنتظرون إلى ربكم » أحاديث صحاح وقال : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . انظر إلى وجه الله تعالى . قال أبو عبد الله يؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب ، قال سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، قال حنبل : قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح يؤمن بها وتقر بها وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم تقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه ردّدنا على الله أمره قال الله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣)

قول إسحق بن راهويه: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والزوية ما هن؟ فقال رواها من روى الطهارة النفس والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذه عدولا، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك الله كما شفيتني أو كما قال.

قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم الماد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

قول المزني: ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم عن أبي داود المصري قال كنا عند نعيم بن حماد جلوساً فقال نعيم للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال أقول إنه كلام الله، فقال غير مخلوق؟ فقال غير مخلوق. قال وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

قول جميع أهل اللغة: قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً: تحييتهم يوم يلقونه سلام) ^(١) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معانية ونظراً بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم. وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس «إنكم ستلقون بمدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» وحديث أبي ذر «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتكم

يقربها مغفرة » وحديث أبي موسى « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد .

فصل

في وعيد منكرى الرؤية

قد تقدم قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى : (ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) ^(١) قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : « قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : هو الذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . فيلقى العبد فيقول : أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وترفع ؟ فيقول : بلى أى ربى ، فيقول أظننت أنك ملاقى ! فيقول : لا فيقول أنساك كما نسيت ، ثم يلقى الثانى فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وترفع ؟ فيقول بلى أى ربى ، فيقول أظننت أنك ملاقى فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كأنسيتى ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع . فيقول : ههنا إذا ، ثم يقال : الآن نعمت شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقى ، فينطق فخذ له ولحمه وعظامه بمعله وذلك ليمذر من نفسه وذلك المنافق ، وذلك الذى يسخط الله عليه . »

فأجمع بين قوله : فإنكم سترون ربكم . وقوله : لمن ظن أنه غير ملاقيه فإنى أنساك

كما نستنتج . وإجماع أهل السنة على أن اللقاء المأينة بالابصار ، يحصل لك العلم بأن منكرى الرؤية أحق بهذا الوعيد .

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث : باب في الوعيد لمنكرى الرؤية ، كله فعل شيخ الإسلام وغيره ، وبالله التوفيق ،

فصل

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يرويه إلا من فوقهم لاستحالة أن يرويه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم ، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفرار الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن ، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشرعة والذي بانها هو القدي بلغ الدين . فلا يجوز أن يحمل كلام رسوله عظيم بحيث يؤمن ببعض معانيه ويسكفر بيمضها ، فلا يجتمع في قلب العبد بمد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والمنصرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :

أحدهما : من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر .
والثاني : من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة . ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين . وبالله التوفيق .

الباب السادس والستون

في تسليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم إياهم

وسلامه عليهم

قال تعالى : (إن الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم) (١) وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً . إذ تسليمه لعباده عند الفرعونية والمطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ، ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون : وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة . وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم ، وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول « سلام عليكم يا أهل الجنة » فيرونه عياناً ، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والمعلو . والمطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها . وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ولا يبق أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول يا فلان أتذكر يوم فلت كذا وكذا » الحديث

وتقدم حديث عدي بن حاتم « ما منكم إلا من سيكاهه ربه يوم القيامة » وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « يقول الرب تبارك وتعالى للمبد : ألم أكرمك وأسودك » الحديث . وحديث بريدة « ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب » الحديث

وحديث أنس في يوم الزيد وعظائمه فيه لأهل الجنة مرارا ، وبالجمله تأمل
أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم .

قال البخارى في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة . وساق
فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم
فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به ،
والله المستعان .

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تنفى ولا تنبذ

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى :
﴿ وأما الذين صمدوا ففى الجنة خالدون فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ (١) أى مقطوع . ولا تنافى بين هذا وبين قوله إلا ما شاء
ربك . واختلف السلف فى هذا الاستثناء . فقال ميمر عن الضحاك : هو فى الذين يخرجون
من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه : إنهم خالدون فى الجنة مادامت السموات
والأرض إلا مدة مكثهم فى النار .

قلت : وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون الإخبار عن الذين صمدوا وقع عن قوم مخصوصين
يوم هؤلاء .

والثانى : وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص
بالذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه . وأحسن من هذين التقديرين أن
ترد المشبهة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف . وعلى هذا فلا يبقى فى
الآية تخصيص . وقالت فرقة أخرى : هو استثناء استثناء الرب تعالى ولا يفعله
كما تقول : والله لا ضربك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه . بل تجزم بضربه .

وقالت فرقة أخرى : الرب إذا استثنى شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر
حبه ، كان معنى إلا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من
الزيادة على مدة دوام السموات والأرض . هذا قول الفراء وسيبويه : يحمل إلا بمعنى

مكن . قالوا : ونظير ذلك أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أى
سوى الألفين . قال ابن جرير : وهذا هو أحب الوجهين إلى ، لأن الله تعالى لا خلف
لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله (عطاء غير مجذوذ) .

قالوا : ونظير أن تقول : أسكنتك دارى حولا إلا ما شئت أى سوى ما شئت
من الزيادة عليه .

وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين
اللوت والبثم وهو البرزخ إلى أن يصبروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يفتبوا عن
الجنة إلا بمقدار إقامتهم في البرزخ . وقالت فرقة أخرى : المزية قد وقعت لهم من
الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم في
مشيئته وهذا كما قال لنبية (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) (١) وقوله
(فإن يشأ الله يحتم على قلبك) (٢) وقوله (قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم) (٣) ونظائرهم
وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وقالت فرقة أخرى : المراد بمدة دوام السموات والأرض في هذا العالم فأخبر
سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم
عابه . ولعل هذا قول من قال إن إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار
ابن قتيبة . قال : للمعنى خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على
مدة العالم . وقالت فرقة أخرى : ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من
النساء) (٤) والمعنى إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السمداء . والفرق
بين هذا القول وبين أول الأقوال : أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا
القول من الأعيان .

وقالت فرقة أخرى : المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان
أبداً وقوله : (إلا ما شاء ربك) إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم
يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتسابهم في البرزخ والوقوف ، قال

(٢) سورة الشورى آية ٢٤ .
(٤) سورة النساء آية ٣ .

(١) سورة الإسراء آية ٨٦
(٣) سورة يونس آية ١٦

الجنى: سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في اللوقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من التشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وما هم منها بمخرجين).

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأييد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضمنته إلى الاستثناء في قوله (إلا ما شاء ربك) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية. وذلك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها. وبالله التوفيق.

وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس» ويخلد ولا يموت» وقوله «ينادي مناديا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً».

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يحاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة فيظلمون مشفقين ويقال يا أهل النار فيظلمون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

فصل

وهذا موضع اختلف فيه للتأخرون على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كاهما حادثتان فهما فانيتان .
والقول الثاني : إنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً .

والقول الثالث : إن الجنة باقية أبدية والنار فانية ، ونحن نذكر هذه الأقوال
حوماً قابليها وما احتج به أرباب كل قول ، وزد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله .
فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهنم بن صفوان إمام للمطلة الجهمية ، وليس له فيه
سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد
من أهل السنة . وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم
به وصاحوا بهم من أقطار الأرض ، كما ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب
السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال : كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله
عز وجل ، يقول الله سبحانه وتعالى (أكلها دائم وظلها) (١) وهم يقولون لا يدوم ،
ويقول الله تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) (٢) وهم يقولون ينفد ، ويقول
الله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) (٣) .

قال شيخ الإسلام : وهذا قاله جهنم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود
ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث
الاجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم ،
فأرى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل . فداوم الفصل
بممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل ، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي .

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل ، لكن قال : إن هذا

(٢) سورة من آية ٥٤

(١) سورة الرعد آية ٣٥

(٣) سورة النحل آية ٩٦

يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء . فقال ببناء حركات أهل الجنة ولانار حتى يصبروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة ، وزعمت فرقة من وافقهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل ، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة ولانار قلنا بذلك ، وكأن هؤلاء لم يظلمون ما كان ممتنعاً في العقل لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها ، فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته .

والأكثر من الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضي والمستقبل ، وقالوا : الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل ، والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء . قالوا : وهذا نظير أن يقول القائل : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بمده درهماً آخر فهذا ممكن ، والأول نظير أن يقول : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال ، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى في الماضي محال ووجوده في المستقبل واجب ، ونازعهم في ذلك آخرون فقالوا بل الأمر في الماضي كم في المستقبل ولا فرق بينهما ، بل الماضي والاستقبال أمر نسي فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً وكل ماض فقد كان مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام في أحد طرفين وإحالاته في الطرف الآخر .

قالوا : وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل رباً قادراً فعلا فإنه لم يزل حياً علماً قديراً ، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته ، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجديد شيء وليس للأزل حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعاً عليه فهذا القول تصويره كاف في الجزم بفساده ويكفي في فسادة أن الوقت الذي انقلب فيه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح .

فإن قائم لا يصح كان هذا تحسباً غير معقول وهو من جنس الهوس ، وإن قلتم يصح : قيل وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية ، فما من زمن محقق أو مقدار

إلا والأفضل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتلقى حمد رب تعالى وربوبيته
وملكه وهو لم يزل رباً جيداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم
يزل حياً مريداً عليماً . والحياة والإرادة والعلم والقدرة نقضى آثارها ومتطافها ،
فكيف يعقل حتى قد ير عليهم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه
أن يفعل شيئاً البتة ؟ .

وكيف يحمل هذا أصل من أصول الدين ويحمل مياراً على ما أخبر الله به
ورسوله ويفرق به بين جائزات المقول ومحالاتها ؟ فإذا كان هذا شأن الميزان
فكيف يستقيم الموزون به ، وأما قول من فرق بأن الماضى قد دخل فى الوجود
دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه ، فإن الذى يحصره الوجود من الحركات
هو التناهى ثم يعدم فيصير ماضياً ، كما معدوماً لما كان مستقبلاً فوجوده بين
عدمين وكما انقضت جملة حدث بعدها جملة أخرى ، فالذى صار ماضياً هو بينه
الذى كان مستقبلاً فإن دل الدليل على امتناع . الا يتناهى شيئاً قبل شيء فهو بمينه ،
حل على امتناعه شيئاً بعد شيء .

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله : ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده
درهماً فهذا ممكن . والماضى نظير قوله ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً ،
فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول ما أعطيك
درهماً إلا وقد تقدم من إعطاء درهم قبله . فهذا ممكن الدوام فى الماضى على حد
إمكانه فى المستقبل ولا فرق فى العقل الصحيح بينهما البتة ، ولما لم يجد الجهم وأبوالهذيل
وأبناءهما بين الأمرين فرقا قالوا : بوجوب تنهى الحركات فى المستقبل كما يجب
ابتدائها عندهم فى الماضى

وقال أهل الحديث : بل هما سواء فى الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه
وتعالى فما لا لا يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات السكالك منعتاً بنموت الجلال ،
وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا فى وقت معين وليس
من يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الأمر كمن

لا يدبر ، وأى كمال في أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدرة
أو حقيقة لا تنهاى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه

وإن أيتهم هذا الإطلاق وقام إن الحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه ،
فجمعهم بين محالين الحكم بإباحة الفعل من غير موجب لإحالاته وانقلابه من الإحالة
الذاتية إلى الإمكان التامى من غير تجدد سبب وزعمهم أن هذا هو الأصل الذى
تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه الأبدان فجنيتهم على العقل والشرع ،
والرب تعالى لم ينزل قادراً على الفعل والسلام بمشيئته ولم يزل فعلاً لما يريد
ولم يزل رباً محسناً .

وللمقصود : أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة
ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين . والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد
كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنو عليه القول بخلق القرآن
ونفى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله
لا تنهاى ولا تنقطع بآخر ولا تبدأ أول قال تعالى (قل لو كان البحر ممدداً لكلمات
ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) (١) .

وقال تعالى : (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) (٢) فأخبر عن عدم نفاد
كلماته لمزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك .

وذكر ابن أبى حاتم في تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس
يقول إن مثل علم العبادة كلهم في علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها
وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك (ولو أن مافى الأرض من شجرة
أقلام) — الآية .

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٧ .

وقوله (قل لو كان البحر مداداً — الآية) يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجر أقلام لانكسرت الأقلام وفي ماء البحر ، وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء ، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما يثنى بل هو كما أثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول ، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخرة كعبه من خردل في خلال الأرض كلها .

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين ، وقلت : ههنا أقوال سبعة :

أحدها : أن من دخلها لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها عجل فيها أبداً لا يباد .
يأذن الله ، وهذا قول الخوارج واللمتزلة .

والثاني : أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طيبة نارية لهم يتلذذون بها لموافقها لطبيعتهم ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي .

قال في فصوصه : الثناء بصدق الوعد لا يصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطالب الثناء الم محمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلتاحسبن الله مخلف وعده رسله) (١) لم يقل وعيده بل قال (وتجاوز عن سيئاتهم) (٢) مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان في حق الحق من طلب المرجح :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تمانين
إن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مبانين
نعيم جنات الخلد والأمر واحد	وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والممتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تمذيب من توعد بالعذاب في طرف ، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً ، وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلاً . والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل .

الثالث : قول من يقول إن أهلها يمدبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم الله تعالى في القرآن فيه :

فقال تعالى : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) .

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) (٢) .

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به . وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساد .

قال تعالى : (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) .

وقال تعالى : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (٣) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) (٤) .

(١) سورة البقرة الآيتان ٨٠ و ٨١

(٢) سورة آل عمران آية ٢٣ و ٢٤ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية ٤٠ .

وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة .

الرابع : قول من يقول : يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يهذب ، حكاه شيخ الإسلام . والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم .

الخامس : قول من يقول : بل تفتى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن : وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبديته . وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفتى حياتهم وحركانهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل الملاف إمام للمتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها . والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخلقتها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفتى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره للشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر : « لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاليج ، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » .

وقال : حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر ابن الخطاب قال : « لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عاليج لكان لهم يوم يخرجون فيه » ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى : (لا يشين فيها أحقاباً)^(١) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال

كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن ، وحسبك بهذا الإسناد جلالة .

والحسن وإن لم يسمع من عمر ، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به ، وقال : قال عمر بن الخطاب ، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإسكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة ، لكانوا أول منكر له .

قال : ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها ، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها ، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه .

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولا يناقض هذا قوله تعالى : (خالدون فيها) وقوله : (وما هم منها بمخرجين) (١) .

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه ، لاسكن إذا انقضى أجلها وفنيت تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول :

وفي تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى : (قال النار مشواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال : لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً .

قالوا : وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من

الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجات لنا قال النارموا كم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم . وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون (١).

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيهم الكفار قطعاً فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالى : (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

وقال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (٢) .

وقال تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم فى النفى ثم لا يقصرون) (٣) .

وقال تعالى : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) (٤) .

وقال تعالى : (فقاتلوا أولياء الشيطان) .

وقال تعالى : (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (٥)

وقال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (٦) والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار .

فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله . قالوا : وقول من قال إن « إلا » بمعنى سوى أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع المذاب وزمنه لا تخفى منافقته المستثنى والمستثنى منه، وإن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد « إلا » لما قبلها .

(٢) سورة النحل الآيات ٩٩ و ١٠٠

(٤) سورة الكهف آية ٥٠

(٦) سورة الأنعام آية ١٢١

(١) سورة الأنعام الآيات ١٢٨ - ١٢٩

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠١

(٥) سورة المجادلة آية ١٩

قالوا : وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً ، لا يساعد على وجه الكلام ، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله .

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجأت لنا) فيقول لهم حينئذ : (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) .

وفي قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجأت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم ، فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه ، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك ، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك ، وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض .

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم ، وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته .

وهذا من نخط قولهم : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله : (فاعترفوا بذنبهم) وقوله : (فاعلموا أن الحق لله) ونظائره . والمقصود أن قوله (إلا ما شاء الله) عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين ، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأث طائفة ضعف هذا القول قالوا : الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف . وقد تبين ضعف هذا القول ، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار .

قالوا : والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهر

وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً . للطاغين مآباً . لا بشئ فيها أحقاباً) (١).

قالوا : والابد لا يقدر بالأحقاب .

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية : لياتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً ، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما . ثم قال : ومعناه عند أهل اللسنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان .

قالوا : قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد سأل حرب إسحق بن راهويه عن هذه الآية فقال : سألت إسحق قلت قوله الله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) فقال : أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي على القرآن كله : (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (٢) .

قال المعتمر : قال أتى على كل وعيد في القرآن ، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي عن شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال لياتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً .

حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن ابن زرعة عن أبي هريرة قال : ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبق فيها أحد ، وقرأ قوله : (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية (٣) .

(١) سورة النبأ الآيات ٢١ - ٢٣ .

(٢) سورة هود آية ١٠٧ .

(٣) سورة هود آية ٦٠ .

قال عبيد الله : كان أصحابنا يقولون يعنى به الموحدون حدثنا أبو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) (١) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله ، وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال : وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها . ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي تذكرها .

وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن النيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال : وسمعت أبا مجاز يقول : جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثنا عن المسيب عم بن ذكره عن ابن عباس : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم . قال : وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنم زمان يخق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير بيان عن الشعبي قال : جهنم أسرع الدارين عمراً ، وأسرعها خراباً .

وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال : وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فمرقنا معنى ثنياء بقوله « عطاء غير مجدوذ » وأنها لفي الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان . حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض

إلا ما شاء ربك (فقرأ حق باغ) (عطاء غير مجذوذ) فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وقال ابن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليل حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو ابن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » . وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار ، وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائماً ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين ، فالحديث دل على أمرين : أحدهما : أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل ، وإن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لأنها قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين قالوا وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً ، لاثنين فيها أحقاباً ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، إلا حمياً وغساقاً ، جزاء وفاقا ، إنهم كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا بآياتنا كذاباً) (٢) فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الأبدى بهذه الأحقاب ولا غيرها ، كما لا يقدر به القديم . ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي بلع سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه « ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً » .

(١) سورة هود الآيات ١٠٦ و ١٠٧ .

(٢) سورة النبا الآيات ٢١ - ٢٨ .

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق :

أحدها : اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه ، وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع .

الطريق الثاني : أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وأنه لا يفتزعهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدون فيها أبداً ومأمم بخارجين من النار ، ومأمم منها بمخرجين ، وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراماً ، أى مقبلاً لازماً . قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره .

الطريق الثالث : أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار ، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطريق الرابع : أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين ، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطريق الخامس : أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان ، وإنما يذكران فناءهما عن أهل البدع .

الطريق السادس : أن العقل يقضى بخلود الكفار في النار ، وهذا مبني على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما

يُعلم بالعقل أولاً يعلم إلا بالسمع ؟ فيه طريقتان لنظر المسلمين ، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع ، كما دل عليه القرآن في غير موضع ، كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفسجار ، في الحيا والمات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً ، وأنهم إليه لا يرجعون ، وأنه يتركهم سدى أى لا يشيهم ولا يعاقبهم ، وذلك يقدر في حكمته وكاله ، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به وربما قرره بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها ، لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها ، بلى لوفارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونسكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (١) .

فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب إفتاء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة .

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتوه غير معلوم ، وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع ، وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال : إن النار لا تنفى أبداً ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً .

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا ، قالوا : والإجماع المعتد به نوعان ، متفق عليهما ، ونوع ثالث مختلف فيه ، ولم يوجد واحد منهما في هذه المسألة النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة .

الثاني : ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه .

الثالث : أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد ، فأين معكم واحد من هذه الانواع ، ولو أن قائلًا ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج أن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم .

قالوا : وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟ نعم ، الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبدًا ، وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم ، وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حق يلج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع . وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها . فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قالوا : وأما الطريق الثالث ، وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبر من النار دون أهل الشرك فهي حق لا شك فيه وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار العذاب لم تكن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا .

قالوا : وأما الطريق الرابع : وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها

مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة ، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تنفى كالجنة ، فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك .

قالوا : وأما الطريق الخامس وهو أن عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفيان أبداً . فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة . وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به الصحابة وتفرقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين ، فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم .

قالوا : والقول الذى يمد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة ، إما الصحابة أو من بعدهم ، وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يمد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله . والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون إن من ورائكم قتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول : قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى أبتدع فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزينة الحكيم ؟ فإن للشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن للمنافق قد يقول : كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً ، قالوا : وكيف زينة الحكيم ، قال : هى الكلمة تروكم وتذكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيقته ولا تصدركم عنه فإنه يوشك أن يفى وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة . »

والذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم أن النار لا تنفى

أبدأ فإعنا قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ، ولم يباينه تلك الآثار التي تقدم ذكرها قالوا : وأما حكم العقل بتخليد أهل النار ، فيها ، فإخبار عن العقل بما ليس عنده ، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق :

وأما أصل الثواب والعقاب : فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالا وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب ما لا يدل عليه العقل بمجرد ، وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين ، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك الغزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب . وبالله التوفيق .

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً وذلك يظهر من وجوه :

أحدها : أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نقاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤبدة عليهم وإنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتقر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر .

الوجه الثاني : أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها . الأولى : قوله سبحانه وتعالى : (قال النار مثواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله إن ربكم حكيم عليم) (١) الثانية : قوله (خالدون فيها ما دامت السموات

والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١) .

الثالثة : قوله : (لا يثنى فيها أحقاباً) (٢) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحداً كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فإنه قال في أهل النار : (إن ربك فعال لما يريد) (٣) فملنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم نخبرنا به ، وقال في أهل الجنة : (عطاء غير مجدود) (٤) فملنا أن هذا العطاء والنعم غير مقطوع عنهم أبداً . فالعذاب مؤقت معلوق والنعم ليس بمؤقت ولا معلوق .

الوجه الثالث : أنه قد ثبت أن الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المذنبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءاً قط ولا يعذب إلا من عصاه .

الوجه الرابع : أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشئ للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار ، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله : « وأما النار فينشئ الله لها خلقاً آخرين » فقلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب بنفسه « وأما الجنة فينشئ الله لها خلقاً آخرين » ذكره البخاري رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا ، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأييد مع هذه الفروق .

يوضحه الوجه الخامس : أن الجنة من موجب رحمته ورضاه ، والنار من غضبه وسخطه ، ورحمته سبحانه تناب غضبه وتسبقه ، كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو

(١) سورة هود آية ١٠٧ .

(٢) سورة النبأ آية ٢٣ .

(٣) سورة هود آية ١٠٧ .

(٤) سورة هود آية ١٠٨ .

عنده موضوع على العرش أن رحمتي تغلب غضبي » وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه متمماً .

يوضحه الوجه السادس : أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والمخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان للرحمة فغالب سابق مراد لنفسه .

يوضحه الوجه السابع : وهو أنه سبحانه قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وعذابه مفعول منفصل ، وهو ناشئ عن غضبه ، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه ، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته ، وغضب يقوم به سبحانه ، وعقاب منفصل ينشأ عنه فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلا أن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى ، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة

يوضحه الوجه الثامن : أن النار خلقت تخويفاً للدومنين وتطهيراً للأخاطئين والمجرمين ، فهي طهارة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات المأخوذة والمصائب المكفرة لم يحتاج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وإن لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدونها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهارة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يفسدها الماء ، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فلو خلوا وفطروهم لما نشؤوا إلا على التوحيد ولكن عرض لاكثر الفطر ما غيرها ، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله رسوله ، وأزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها ، فعرف الموفقون الذين سبقتم لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت

به فالرسل ونزلت به السكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعهم الشرعة المنزل والفطرة المكملّة ، أن تسكتب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلّق بها ولا يفارقها ، بل كلّ ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبيه واثره ، وكلّ لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم بما يحبون أو يكرهون ، تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال هنا أمرت وليس لله سبحانه غرض . في تمذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً علياً)^(١) واستمر الاشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها عما خلقت عليه إلى ضده حتى استحکم الفساد وتم التغيير ، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله للتلوة والخلق وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار ، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية ، وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار ، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له ، فإن قيل هذا حق ولكن سبب التمذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كما صي للموحدين ، أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما يزول السبب ، وقد أشار سبحانه إلى هذا للمعنى بعينه في مواضع من كتابه منها : قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائهم لا تقتضى غير الكفر والشرك ، وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً . ومنها قوله تعالى : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)^(٢) فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبر بها الرسل ، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبيه واثره ومقتضاه لا يفارقهم . ومنها : قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)^(٣) وهذا يدل على أنه

(١) سورة النساء آية ١٤٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٢ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٣ .

ليس فيهم خير يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره ، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله « أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير » ولو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين .

قيل : لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به من المسألة ، وإن الأمر لكما قلتم ، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب أنهم في الآخرة في غمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا ، والمذاب مستمر عليهم دائماً ما داموا كذلك : ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والحجث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال ؟ هذا حرفه للمسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الخيفية ، وأن الشياطين اجتالهم عنها فلم يقطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب ، كما فطر الحيوان البهيمة على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبة وتوحيده .

فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ، ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لمعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لهم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم ، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم ، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان الحكمة المطلوبة . فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتهي بعذاب عباده كما يشتهي المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض ، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فمذابه مصلحة له ، وإن تألم به غاية الألم . كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها .

وقد سمي الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل (٢٤ - حادى الأرواح)

داء دواء يناسبه ، ودواء الداء المضال يكون من أشق الادوية ، والطبيب الشفيق
يتكوى للريض بالنار كيأ بمد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة
المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصلح للعيل قطعه وأذاقه أشد الألم . فهذا قضاء الرب
وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار المبد ، فكيف
إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار المبد وإرادته ؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه في الآخرة
وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فإن مصدر الجميع
عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابعة وهو سبحانه الملك الحق البين وملئكه ملك
رحمة وإحسان وعدل .

الوجه التاسع : أن عقوبته للمبد ليست لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود
إليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة . بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما
يتعالى عن سائر الميوس والنقائص ، ولا هي عبث محض خال عن الحكمة والغاية
الحميدة فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه ، فإما أن يكون من تمام نعم أوليائه
وأحبابه ، وإما أن يكون من مصلحة الاشقياء ومدادوانهم ، أو لهذا
ولهذا .

وطى التقادير الثلاث : فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات
والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها ، ونعم أوليائه ، ليس
متوقفاً في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ، ودوامه ومصلحة
الاشقياء ليست في الدوام والاستمرار ، وإن كان في أصل التعذيب
مصلحة لهم .

الوجه العاشر : أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له ، فلا منتهى
لرضاء بل كما قال أعلم الخلق به : سبحانه الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة
عرشه ومداد كلماته . فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعنى وأعظم ،
فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل
عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً . وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من

صفاته الذاتية التي يستحيل انكارها عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان والناس لهم في
صفة الغضب قولان :

أحدهما : أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله .

والثاني : أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به . وعلى القولين فليس كالحياة
والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها والمذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سمرت
النار إلا بغضبه ، وقد جاء في أثر مرفوع « إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم
بالشرق وينتقم بهم ممن عصاه » فخلقوا منه سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة
ومو بالرحمة . ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب . فإنه سبحانه له السكال المطلق من
جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب
ويعطى ويمنع ويمز ويدل وينتقم ويعفو . بل هذا موجب لما لا يحق وهو حقيقة
الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد ، فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت
عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفاتها
وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة ، فتقبلوا في رحمته
في الدنيا وتقبلوا فيها في الآخرة ، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائهم وهذه
رحمة يكرهونها وتشق عليهم ، كرحمة الطبيب الذي يضع لحم المريض ويلقى عليه
المسكاوي ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة .

فإن قيل : هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالليل وهو يحبه وهو
راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء
غنائم إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة .

قيل : هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم ، وإن كان عقوبة لهم وهذا
كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة ، فالحدود وطهرة
لأهلها وعقوبة ، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملهم
بأقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رساله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندأ

له ، وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته ، وهو ولي الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم ، الحق الذي اشتد مقتته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كماله أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافاتها وإستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها ، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا المطلقين محال عليه سبحانه .

فالمطلوبون نوعان أحدهما : عطل صفاته والثاني عطل أحكامها وموجباتها . وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للفضب فاجتمع فيه الأمران ، فإذا زال الفضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بنفي الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها ، وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض .

بوضحه :

الوجه الحادى عشر : وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة والرضا أحب إليه من النضب . والفضل أحب إليه من العدل . ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لمبادء في ثوابه وعقابه ، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خالق الخلق وأزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه سالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما ، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض ويده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة البالغة والغنى المطلق ، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة ، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دوائه بيد الغنى الحميد ، فنضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لمزته وعرف أن الحمد كله له ، وأن الخلق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا يبعض عدله ، وأن له غاية الحمد فيما فعل به ، وأن حمده هو الذى أقامة ، في هذا المقام وأوصله إليه وأنه لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه ، بل ذلك محض فضل الله وصدقة عليه وأنه لا نجات

له بما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص،
وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح .

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب
لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدواهم في تلك الحال . وقالوا إن كان ما نحن فيه
رضاك فرضاك الذي نريد ، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك فأما
إذا أرضاك ، هذا منا فرضاك غاية ما نقصده (وما لجرح إذا أرضاك من ألم) وأنت
أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله ، عاقبت أو عفوت ، لا نقبلت
النار عليهم برداً وسلاماً .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « يأتي أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل
أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء
الإسلام وما أسمع شيئاً . وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان
يخذفوني بالبحر . وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما
الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك من رسول ، فيأخذ مواعيقهم ليطيعنه
فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم
برداً وسلاماً » .

وفي المسند أيضاً : من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة
مثله وقال : « فن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها »
فهؤلاء لما رضوا بتمزيبهم وبأدروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره
ومحبته انقلب في حقهم نعيماً .

ومثل هذا ، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثني رشدين قال حدثني ابن أنعم
عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما . فقال الرب جل جلاله :

أخرجوهما فإذا أخرجاه فقال لهما : لاى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمى لسكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كننا من النار . قاله فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجملها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً ، ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب : ما منك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب إني أرجوك أن لا تميدنى فيها بعد ما أخرجتني منها ، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك . فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله .

وذكر الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : « يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجاه ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل ، وأسوأ مصير ، صار إليه العباد ، فيقول لهما : بما قدمت أيديكما وما أنذا بظلام للمبيد ، قال : فيؤمر بصرفهما إلى النار ، فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمهما . وأما الآخر فيتسكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمهما : ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها ؟ فيقول إني خبرت من وبال مصيبتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً . ويقول للذى تسكأ ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك حين أخرجتني منها أن لا تردنى إليها ، فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة . »

الوجه الثانى عشر : أن النعم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه . وأما المذاب والمقوبة فإنما هو من مخلوقاته ، ولذلك يسمى بالمعاقب والمقذف بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته . حق في الآية الواحدة كقوله تعالى : (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو المذاب الآليم) (١) وقال تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأنه الله غفور رحيم) (٢) وقال تعالى : (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) (٣)

(١) سررة الحجر الآيتان ٤٩ و ٥٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٩٨ .

(٣) سورة الأعراف آية ٦٧ .

ومثلها في آخر الانعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولاسيا
إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة في نفسها . وأما الشر الذي هو المذاب فلا يدخل
في أسمائه وصفاته ، وإن دخل في مفعولاته لحكمه إذا حصلت زال وفق بخلاف الخير ،
فإنه سبحانه دائم المروف لا ينقطع مروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان ،
فلم يزل ولا يزال عسناً على الدوام . وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال
مماقياً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام ، فتأمل هذا الوجه تأمل
فيه في باب أسماء الله وصفاته ، يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبه
يوضحه :

الوجه الثالث عشر : وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته « والشر
ليس إليك » ولم يقف على المعنى المقصود من قال الشر لا يقترب به إليك ، بل الشر
لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه ، فإن
ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وصفاته كلها صفات كمال يحمدها عليها
ويثني عليها ، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل ، وحكمه لا شر فيها بوجهها ، وأسمائه
كها حسنى ، فكيف يضاف الشر إليه بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل
عنه ، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله ، وأما المخلوق المفعول فيه
الخير والشر .

وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه وهو
صلى الله عليه وسلم لم يقل : أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله ، وإنما نفي
إضافته إليه وصفاً وفعلًا وأسماء ، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب
وموجباتها .

وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها ، والإيمان والطاعات متماقة به
سبحانه ، ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه ، وهى ثناء على الرب
وإجلاله وتمظيمه وعبوديته ، وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها
بدوام متعلقها .

وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها . ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي
مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت
وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض .

الوجه الرابع عشر : أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء . فليس شيء
من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه ولشدة
كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم .

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة أنما وقوله تعالى لذيالك الرجلين : ربحى لكما
أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . وقد جاء فى بعض الآثار أن العبد
إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال : اللهم ارحمه : يقول الرب تبارك وتعالى : كيف
أرحمه من شيء به أرحمه . فالابتلاء رحمة منه لعباده « وفى أثر إلهى » يقول الله
تعالى : « أهل ذكرى أهل مجالسقى . وأهل طاعنى أهل كرامتى ، وأهل شكرى
أهل زيادتى ، وأهل مصيقتى لأقنطهم من ربحى إن تابوا فأنا حبيبتهم وإن لم يتوبوا
فأنا طيبهم أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من المعائب » : فالبتلاء والمعقوبة أدوية قدرت
لإزالة أدواء لا تزول إلا بها . والنار هى الدواء الأكبر فن دواوى فى الدنيا أغناه
ذلك عن الدوام فى الآخرة ، وإلا فلا بدله من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب
تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعمت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه
وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار
ذلك إن لم يبادر إلى قبوله .

يوضحه الوجه الخامس عشر : أن أعماله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة
والمصلحة والعدل ، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلا بل هو المزه عن ذلك كما يزه
عن سائر العيوب والنقائص . وإذا ثبت ذلك فتمذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول
ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان الحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة
المطلوبة زال للمذاب . وليس فى الحكمة دوام المذاب أبداً . بحيث يكون دائماً
بدوام الرب تبارك وتعالى ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست لمصلحتهم

على بقائهم في المذاب كذلك ، وإن كانت المصاحبة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكل
على نعيمهم فهذا لا يقتضى تأييد المذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً ، على بقاء
آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في المذاب السرمذ .

فإن قلتم : إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل ، وإن
قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فيجوابه من
وجهين .

أحدهما : أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله
معمطة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر
والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

والثاني : أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم في المذاب وانقطاعه عنهم
بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله وهو سبحانه لم يخبر
شياً بديه المذاب وأنه لا نهاية له .

وغاية الأمر على هذا التقدير : أن يكون من الجائزات الممكنات للموقوف حكمها
على خبر الصادق .

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام ، وإن
سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعمل لم تقتضه أيضاً .

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه .

الوجه السادس عشر : أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المذنبين فإنه أنشأهم
في رحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته
وأسباب النعمة والمذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه
فيهم وخلقهم على خلقه ، تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته
ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نرى

عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هي السابقة إليهم في كل حال هم فيه
رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم .

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يطل أثرها بالسلبية وإن عارضها أثر
الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وما أثر الرحمة فسيبه منه سبحانه فما منه يقتضونه
رحمتهم . وما منهم يقتضى عقوبتهم والذي منه سابق وغالب ، وإذا كانت رحمته تغلب
غضبه فلا ن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى .

الوجه السابع عشر : أنه سبحانه يخبر عن المذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب
يوم عظيم ، وعذاب يوم أليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد .
وقد ثبت في الصحيح : تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمذبون متفاوتون .
في مدة لبثهم في المذاب بحسب جرائمهم ، والله سبحانه جعل المذاب على ما كان منه .
الدنيا وأسبابها ، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالمذاب على ذلك .

وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لله
أجل تنتهى إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو للمذب به .

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفتى ولا يزول ،
فيدوم بدوام المراد به ، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق
بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية ، فما أريد به غير الله يسهل ويَزول يزوال مراده .
ومطلوبه وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت
أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والدوات وانقلب عذاباً وآلاماً
لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم .

الوجه الثامن عشر : أنه ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم
أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ولا انقطاع أبداً ، وقد دلت الأدلة السمعية
والقلبية والفطرية على أنه سبحانه حكيم ، وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم

بحكمة كما يوجب التمثيل والمعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره ، فإن فيه من الحكم
والمصالح وتنظيم المبدأ ومداراته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهد
المقول الصحيحة ، وفي ذلك من تزكية النفوس وصلاحيها وزجرها وردع نظائرها
وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة
ما لا يعلمه إلا الله .

ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
حق إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

ومعلوم أن النفوس الشريرة الحبيثة للظلمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل المذاب
لأدت لما نهيت عنه ، لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين ، فإذا
عذبوا بالنار عذاباً تخص نفوسهم من ذلك الحبث والوسخ والدرن ، كان ذلك
من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافي الحكمة خاق نفوس فيها شريزول
بالبلاء الطويل والنار ، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول في
الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له ، فلا يظهر في الحكمة
والرحمة ، وفي وجود مثل هذا التنوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتاً ، هي شر من كل
وجه ليس فيها شيء من خير أصلاً .

وعلى تقدير دخوله في الوجود ، فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان
وإحالتها وإحالة صفاتها .

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من
تمذيبها ، فالله سبحانه قادر أن يلبسها نشأة أخرى غير تلك النشأة ، ويرحمها في النشأة
الثانية نوعاً آخر من الرحمة .

يوضحه الوجه التاسع عشر : وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقاً آخر ، يسكنهم إياها ، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاء لهم عليه ، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذة وبلغت العقوبة مبلغها فأنكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل .

وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبة وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواء ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الحباثت كلها وتلاشت ، وتبدلت بدل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى ، ولم يكن في حكمته أن يستمر فيها في العذاب بعد ذلك ، إذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشرها بتوحيدها وكبرها يخضوعها وذلها .

ولا ينتقص هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه) فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الحباثت ، وإنما هو عند المأينة قبل الدخول فإنه سبحانه قال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (١) .

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الحباثت ، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً ، والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحقب خمسون ألف سنة » فإنه من المتنع أن يبقى ذلك الكبير والشرك والحبت بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب .

الوجه العشرون : أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في

حديث الشفاعة » فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل .

فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملهم ولا خير قدموه .

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار ، بحيث صاروا حمماً ، وهو الفحم المحترق بالنار . وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً ، فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط .

فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ، ومع هذه فأخرجتهم الرحمة . ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه ، فهذا قد شك في المعاد القدرة ولم يعمل خيراً قط .

ومع هذا فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك وأنت أعلم ، فله تلافاه أن رحمه الله فله سبحانه في خلقه حكم لا تباينه عقول البشر .

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام » قالوا : ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة واحدة ، ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من

النار من ذكره وقتاً أو خافه في مقام ما ، فقير بدع أن تفي النار ولكن هؤلاء
خرجوا منها وهي نار .

الوجه الحادي والعشرون : إن اعترف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف للمتضمن
للنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال
للإطلاق إلى ربه من كل وجه ، يستمطف ربه تبارك وتعالى عليه ، ويستدعي
رحمته له .

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة ممة ، ولا سيما إذا اقترن
بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه ، وعلم الله أن ذلك داخل
قلبه وسويدائه ، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك .

وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر
عن أبي إمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر
رجل يدخل الجنة رجل يتقرب على الصراط ظهراً لبطن ، كالنمل يضر به أبوه وهو
يفر منه ، يعجز عنه عمله أن يسمى فيقول : يارب بلغني الجنة ونجني من النار ،
فيوحى الله تبارك وتعالى إليه : عبيد إن أنا نجيئك من النار وأدخلتك الجنة
أعترف لي بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يارب ، وعزتك وجلالك إن
نجيئني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر ، ويقول العبد فيما بينه
وبين نفسه : لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار ، فيوحى الله إليه :
عبيد اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد :
لا وعزتك وجلالك ، ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه :
عبيد إن لي عليك يذنة ، فملتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً ، فيقول : يارب
أرني يذنتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات ، فإذا رأى ذلك العبد فيقول : يارب
عندي وعزتك العظام فيوحى الله إليه عبيد أنا أعرف بها منك اعترف لي بها
أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ، ثم ضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول : هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف
بالذي فوقه ؟ » .

فألرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع
والقدلة له والعزم على مرضاته ، فإدام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون
الروح الرحمة ، فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك
مفتدركة الرحمة ، وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك ، وليس فيه
سما يناقض موجب أسمائه وصفاته ، وقد أخبر أنه فعال لما يريد .

الوجه الثاني والعشرون : أنه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصي من
الكبار وقيد بالتأييد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهائه : فمنها : قوله تعالى :
« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد
له عذاباً عظيماً » (١) .

ومنها : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بمحديدة فحديده في
يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » وهو حديث صحيح .

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى
عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله
أمره فإنه نأز جهنم خالدين فيها أبداً) (٢) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأييد ،
مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد ، فكذلك الوعيد العام لأهل النار
لا يمتنع انقطاعه ، بسبب من كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ،
فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يشس من رحمته كما في صحيح البخارى
عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال في آخره
فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم
بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » .

الوجه الثالث والعشرون : أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب

(١) سورة النساء آية ٩٣ .

(٢) سورة الجن آية ٢٣ .

النار لا انتهاء له ، وأنه أبدى لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده ، وأما الوعيد فذهب أهل السنة كاهم أن أخلاقه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ، ويثني عليه به فإنه حق له إن شاء تركه ، وإن شاء استوفاه والكريم ، لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين ؟ !

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده ، ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده .

وقد روى أبو يعلى الموصلى ثنا هذبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار » .

وقال أبو الشيخ الأصبهاني حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أحمد بن الحليل حدثنا الأصمعي قال : « جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن الملاء فقال : يا أبا عمرو ، يخلف الله ما وعده ؟ قال : لا ، قال أفرايت من أوعده الله على عمله عقاباً أيخلف الله وعده عليه ؟ ، فقال أبو عمرو بن الملاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ، ثم لا تفعله ترى ذلك كرمأ وفضلاً ، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله ، قال : فأوجدني هذا في كلام العرب ، قال : نعم ، أما سمعت إلى قول الأول :

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتى ولا أخشى من صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيمادى ومنجز موعدى

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن مماذ : الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد قال : لا تفعلوا كذا فأعذبكم ، ففعلوا فإن شاء عفا ، وإن

شاء أخذ لانه حقه وأولاهما برئنا تبارك وتعالى ، العفو والكرم أنه غفور رحيم ،
ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال :

نُبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فإذا كان هذا في وعيد مطلق ، فكيف بوعيد مقرون ، باستثناء ممقّب بقوله
(إن ربك فعال لما يريد) وهذا إخبار منه أن يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ما شاء
ربك فهو عائد إليه ولا بد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده ، بل إما
أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله (إلا ما شاء ربك)
أولى من تعلقه بقوله (خالدين فيها) وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذي فهمه الصحابة ،
فقالوا : أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء
وحده ، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضاً ، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء
بقوله (إن ربك فعال لما يريد) وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام (خالدين فيها
إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات ورفعهم عنهم
في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة
والمصلحة والرحمة والعدل ، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك .

الوجه الرابع والعشرون : أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية
الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والنضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود ،
كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة)^(١) . وقال :
(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)^(٢) فلولا سمة رحمته
ومشفقته وعفوه لما قام العالم ، ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار ،
وأزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة ، فإذا كان جانب الرحمة قد

(١) سورة النحل آية ٦٩ .

(٢) سورة فاطر آية ٤٥ .

غاب في هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر ، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغصاب ربه والسمي في مساخطه ، فكيف لا يغاب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة ، على ما في هذه الدار تسمياً وتسمين ضعفاً ، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه . وانكسرت تلك النفوس وأنهمكها العذاب وأذاب منها خبثاً وشرّاً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا ، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة ، وقوى جانب الرحمة أضاف أضاف الرحمة في هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته .

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر ، وأكثر من أسماء الانتقام ، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكشبت على نفسه ، ووسعت كل شيء ، وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فراد لغيره ، كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير . والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل .

الوجه الخامس والمشرون : أنه سبحانه لا بد أن يظهر خلقه جميعهم يوم القيامة صدقة وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكماً يحمدهم هم عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين . ولذلك قال تعالى : (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (١) فمحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه . قال الحسن لقد دخلوا النار ، وأن قلوبهم لملتئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلاً . وهذا هو الذي

حسن حذف الفاعل من قوله (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها)^(١) حتى كان السكون جيمه قائل ذلك لهم إذ هو حكمه المدل فيهم ومقتضى حكمته وحده .

وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيتم فادخلوها خالدين)^(٢) فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بمفوه ورحمته وفضله ، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه المدل وحكمته الباهرة .

ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخلقة أنه أولى المواضع وأحقها بها ، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة ، لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواء ، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك وأنها أولى به حصلت الحكمة التي لأجلها ، وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار .

وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً ، فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب .

فإن قيل : فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن ، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟

قيل : إلى قوله تبارك وتعالى : (إن ربك فعال لما يريد)^(٣) إلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة

(١) سورة الزمر آية ٧٢ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٣) سورة هود آية ١٠٧ .

الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يعمل الله بمد ذلك ما يشاء .

بل وإلى هنا انتهت أقسام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسألة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه ، وهو المان به وما كان من خطأ فني ، ومن الشيطان والله ورسوله براء منه ، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده ، والله أعلم .

الباب الثامن والستون

في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملائى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملائى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال : فيقول أتسخر بى وتضحك بى وأنت الملك ؟ قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال : فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » .

وفي صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المروزي عن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : أهرضوا عليه صفار ذنوبه وأرفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صفار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هنا ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه » .

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد ابن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر

رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يمجز عنه عمله أن يسمى فيقول : يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترف لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه : لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة . فيقول العبد : لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه عبدى إن لى عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً ، فيقول : يا رب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول : يا رب عندى وعزتك العظام فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنونه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول : هذا أدنى أهل الجنة منزلة فسكيف بالذى فوقه ؟

ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو غجيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترتفع له شجرة فيقول : أى رب ادنى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لملى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول : لا يا رب ، ويمهده أن لا يسأله غيرها وربّه يمدّره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : يا رب ادنى

من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لم لي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول : أي رب ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يا رب ، هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك مني ، أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يا رب أستعزي مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود . فقال : ألا تسألونني مم أضحك ؟ قالوا مم تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أستعزي مني وأنت رب العالمين ، فيقول : لا أستعزي بك ولـكن على ما أشاء قادر .

وفي صحيح البرقاني عن أبي سعيد البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن « أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعائين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه ، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لا أكون في ظلها ، فقال الله عز وجل : هل عسيت إن فعت أن تسألني غيره ، قال : لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وممر أخرى ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال : فقال هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ، قال : لا وعزتك فقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وممر وماء ، فيقول : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها ، فيقول : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألني غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فقدمه الله

إليها فتبرز له الجنة ، فيقول : أئى رب قد دنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة -
 وفي رواية : تحت نجاف الجنة أنظر إلى أهلها ، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة
 وما فيها ، فيقول : أئى رب أدخلني الجنة فيدخله الجنة ، فإذا دخل الجنة ، قال :
 هذا لى ، فيقول الله له : تمن ، قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت
 به الأمانى ، قال الله : هـولك وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ويدخل عليه
 زوجاته من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك .
 فيقول : ما أعطى أحد مثل ما أعطيت .

وفي صحيح مسلم من حديث الشجرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : «سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : هو رجل يجيء
 بمد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له أدخل الجنة ، فيقول : أئى رب كيف ، وقد نزل
 الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أرضى أن يكون لك مثل ملك من
 ملوك الدنيا فيقول : رضيت رب . فيقال : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله ،
 فيقول فى الخامسة : رضيت رب ، فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت
 نفسك ولدت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : فأعلام منزلة قال ذلك الذى
 أردت غرس كرامتهم يبدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على
 قلب بشر ، ومصادقه فى كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 أعين) (١)

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح المسقلاني ، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكبحلون » .

وروى داود بن الحصين عن عكرمة بن ابن عباس قال : « لسان أهل الجنة هري » وقال عقيل قال الزهري : لسان أهل الجنة عربي .

فصل

في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت النار والجنة فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها » .

وفي رواية أخرى « تحاجت النار والجنة ، فقالت للنار أوثرت بالتكبرين

والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله سبحانه للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ماؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً .

فصل

فى أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشئ الله لها خلقاً دون النار فى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بمزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفى لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء » .

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة « وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » ففاظ من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يردّه فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يذهب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى : (كلما اتقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) (١) ولا يظلم الله أحداً من خلقه .

فصل

في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم فليل أهل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

فصل

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » .

فصل

في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) (١) وروى قيس عن عمرو بن مرة

عن سميد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إلية في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عنه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين » .

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الألفطس عن سميد ابن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) إلى آخر الآية . وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان ؟ على ثلاثة أقوال . واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين للتبوعين .

فقال طائفة : للمنفى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأثروا من الإيمان بمثل ما أثروا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعهم ذريتهم) فجعل الفصل في الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار ، كما قال (ومن ذريته داود وسليمان)^(١) وقال (ذرية من حملنا مع نوح)^(٢) وقال (وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)^(٣) وهذا قول الكبار المقلاء .

قالوا : ويدل على ذلك ما رواه سميد بن جبير عن ابن عباس يرفعه « إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عنه » فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم

(١) سورة الأنعام آية ٨٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٣ .

إياها وإن تقاصر عملهم عنها قالوا : وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية ، وهذا إنما يمكن من التكبر وعلى هذا ، فيسكون للمعنى : أن الله سبحانه يجمع ذرية للمؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية ، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعمته ، وهذا كما أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم معه في الدرجة تبعاً ، وإن لم يبايعوا تلك الدرجة بأعمالهن .

وقالت طائفة أخرى : الذرية ههنا الصغار ، والمعنى : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء وإن كانوا صفاراً في الإيمان وأحكامهم من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك ، إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين ، أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا : ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب ، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليتوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم ، وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة ، فيكون الآخرون في درجة السابقين .

قالوا : ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال . قالوا : ويدل عليه أن الله سبحانه جعل للنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين ، وأما الاتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهلهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم . وأيضاً فالخوارج المين الخدم في درجة أهلهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت أعمالهم .

وقالت فرقة منهم الواحدى : الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والتكبر لأن

الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب . قالوا : والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والإبن والأب ، كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون)^(١) أى آبائهم . والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختيارى الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله (فتحرير رقبة مؤمنة)^(٢) فلو أعتق صغيراً أجاز . قالوا : وأقوال الشلف تدل على هذا . قال سميد بن جبيرة عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية ، وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقربهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك . وقال أبو حجاز : يجمعهم الله له كما كان يجب أن يجمعوا في الدنيا ، وقال الشعبي أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة . وقال الكلبي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الإبناء رفع الله الإبناء إلى الآباء وإن كان الإبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الإبناء ، وقال إبراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قال : ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ (وأتبعتم ذريتهم) فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين انبموم بإحسان)^(٣) ومن قرأ (وأتبعناهم ذرياتهم) فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً فدلّت القراءتان على النوعين .

قلت : واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته . والله أعلم .

(١) سورة يس آية ٤١ .

(٢) سورة النساء آية ٩٢ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

فصل

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « احتجت الجنة والنار » وقوله « قالت الجنة يارب قد اطردت أنهارى ، وطابت ثمارى فمجل على بأهلى » وقال إسماعيل ابن أبى خالد عن سعيد الطائى « أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تزينى فزينت ؛ ثم قال لها تكلمى فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضى عنه » وقال قتادة « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت : طوبى للمتقين » .

وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

فصل

في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد الله بن أحمد حدثنا خاف بن هشام حدثنا خالد بن عبد الله عن زيد ابن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال : « ما نظر الله إلى الجنة إلا قال طيب لأهالك فتزداد ضغفاً حتى يدخلها أهلها » .

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك ، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا . وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الحور « اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك » .

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال : كان شاب بالعراق يتمدد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان أن نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم ، فصر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه ، قال : له يا أخى أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت ؟ قال : رأيت في الزوم قصراً من قصور الجنة ، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب ، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت ، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما نشئت ، فقالت : جد إلى الله في طابى ، فقد والله جددت إليه في طلبك ، فهذا الذى تراه في طلبها .

قال أبو سليمان هذا في طاب حوراء ، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها ؟

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) (١) وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) « متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه » .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يحمل بين النار والجنة ثم ينادى مناد يا أهل الجنة : لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى جهنم » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيظلمون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيظلمون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هو الموت ، الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبْحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لاموت ويا أهل النار خلود لا موت » رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح . وهذا الكبش والاضجاع ، والذبح ومماينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً : وقال الموت : عرض والمرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ

(٢٦ - حادى الأرواح)

من الأعمال صوراً معانية يثاب بها ويماقب والله تعالى ينشئ من الأعراض
أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً ، كما ينشئ
سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً . فالأقسام الأربعة ممكنة
مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جماعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة
إلى تكلف من قال : إن الذبح لك اللوت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله
ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول
صلى الله عليه وسلم من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس
المرض يذبح . وظن غلط آخر أن المرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح
ولم يهد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض
أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « تجيء البقرة وآل
عمران يوم القيامة كأنهما عمامتان » الحديث . فهذه هي القراءة التي ينشئها الله
سبحانه غماتين .

وكذلك قوله في الحديث الآخر « أن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه
وتحميده وتهليله يتماطفن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن »
ذكره أحمد .

وكذلك قول في حديث عذاب الفبر ونعيمه للصورة التي يراها « فيقول من
أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ » وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله
سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين
المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسمى بين
أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق
السمع والعقل .

وقال سميد عن قتادة : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن
إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له : من
أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ الصدق فيقول له : أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً

إلى الجنة . وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول : ما أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء . فيقول له : أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار .

وقال مجاهد مثل ذلك ،

وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة ، يمرض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله : (يهديهم ربهم بإيمانهم) (١) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منقنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار .

وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بممزيين) (٢) قال : علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بممزيين قيل لا ، قالوا : إن هذا هو الفوز العظيم . وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش ، وأمنا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ، ثم يبكي حتى تجرى دموعه على خيته .

(١) سورة يونس آية ٩ .

(٢) سورة الصافات آية ٥٩ .

فصل

في ارتفاع العبادات في لجنة إلا عبادة الذكر ، دائماً

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتفوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشعاً كرشع المسك ياهمون للتسبيح والحمد كما يلهمون النفس » .

وفي رواية « التسبيح والتكبير كما تلهمون » بالناء المثناة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل

في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إني كان لى قرين) (١) الآيات . وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) (٢) .

وذكر أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرمه : « إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسر سرير هذا إلى سرير هذا ، وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم يوم كذا وكذا ، فى موضع كذا وكذا ، فدعونا الله ففقر لنا » .

(١) سورة الصافات الآيات ٥٠ و٥١ .

(٢) سورة الطور الآيات ٢٥ - ٢٧ .

وإذا تذكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العالم وفهم القرآن والسنة ، وصحة الأحاديث أولى وأحرى ، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع ، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة ، وهذه لذة يختص بها أهل العالم ، ويتميزون بها على من عداهم .

الباب سبعمون

في ذكره من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها (١) . وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) (٢) .

وقال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) (٣) .

وقال تعالى : (فبشر عبادي ، الذين يستمؤمن القول فيتعلمون أحسنه أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولوا الإلباب) (٤) .

وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدون فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (٥) .

وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ، ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٦) . وقال الله تعالى : (إنما ننذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالقيس فبشره بمغفرة وأجر كريم) (٧) وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

(٢) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤

(٤) سورة الرمز آية ١٨

(٦) سورة الشورى ٢٣

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٣) سورة فصلت آية ٣٠

(٥) سورة التوبة الآيات ٢٠ - ٢٣

(٧) سورة يس آية ١١

ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً (١) . وقال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) (٢) : وقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بمعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيمكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) . وقال تعالى : (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (٣) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٤) وقال في الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) (٥) ، وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم تلا (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر آيات » وقال تعالى (إن المسلمين والمسلمات) إلى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) وقال تعالى (سارعوا إلى مغفرة

(١) سورة الأحزاب الآيات ٤٥ - ٤٧

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ - ١٧١

(٣) سورة الصف آية ١٣

(٤) سورة الصف آية ١٣

(٥) سورة الكهف آية ١٠٧

ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفیظ والمافین عن الناس والله یحب المحسنین ، والذین إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم ومن یغفر الذنوب إلا الله ولم یصروا على ما فعلوا وهم یعلمون ، أولئك جزاؤهم منفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فیها ونعم أجر العاملين (١) وقال تعالى (یا أيها الذین آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجیکم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فی سبیل الله بأموالکم وأنفسکم ذلكم خیر لکم إن كنتم تعلمون) (٢) إلى قوله (وبشر المؤمنین) وقال تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هی المأوى) .

وهذا فی القرآن کثیر مقداره على ثلاث قواعد : إیمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهی تجتمع فی أصلین : إخلاص فی طاعة الله وإحسان إلى خلقه . وضدها یجتمع فی الذین یراؤون ویؤمنون الماعون ، وترجع إلى خصلة واحدة وهی موافقة الرب تبارک وتعالى فی محابه ، ولا طریق إلى ذلك إلا بتحقیق القدوة ظاهراً وباطناً رسول الله صلى الله علیه وسلم .

وأما الأعمال الی هی تفاصيل هذا الأصل فهی بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق و بین هاتین الشعبیتین سائر الشعب الی مرجعها تصدیق الرسول فی کل ما أخبر به وطاعته فی جمیع ما أمر به إيجاباً واستجاباً ، كالإیمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غیر تحریف لها ولا تمطیل ومن غیر تكیيف ولا تمثیل .

كما قال الشافعی رحمه الله : الحمد لله الذی هو كما وصف به نفسه وفوق ما یصف

به خلقه ، وكأنه أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما نقول » .

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها ، كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم ، كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال : في مسائله المشهورة .

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .

قال : وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وحيد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا ، إنما هي سنة ماضية عند العلماء . فإذا سئل الرجل : أمؤمن أنت ؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ؟ أو مؤمن أرجو ، ويقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجىء ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجىء .

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ، ومن ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجىء .

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجىء . ومن زعم أن للمعرفة في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجىء ، والقدر خبره وشبهه وقليله وكثيره .

وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاء على عباده ، وقدر قدره عليهم لا يمدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه ، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز .

والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة ، بل لله الحجة البالغة على خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة للمصية وخلقهم لها .

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يمدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن للعباد شاءوا لأنفسهم الشر وللمصية ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئة المباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له : أرايت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ، وهل مضى في سابق علمه ؟ فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً وهذا الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقه وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر ، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله .

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل ، فقد زعم أن المقتول

مات بنير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدييره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم ، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد .

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشية على الصغر والقامة ، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنوب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون في ذلك حديث . كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ، ولا لحير أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث .

كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة في قريش ما بقى من الناس اثنان ، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ، ولا تقرر لعيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة العيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا برة عدولا أقياء ، ودفع الصدقات والحراج والأعشار والنفى والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانتقاد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يحمل الله لك فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنسكت بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنحه حقه والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا لمن عن الفتنة يداً ولا لسان ولكن أكف لسانك ويدك وهواك ، والله للمين .

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنوب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام ، فاتبع ذلك

ولا تجاوزه ، والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين .

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر . نسأل الله الثبات .

وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق ، حوض ترده أمته ولهم آية يشربون بها منه .

والصراط حق يوضع على سواء جهنم . ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك . والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن . والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتتو الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب . وفصل القضاء والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقدير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر ؛ والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم في قومه فلا يصيرون إلى النار . ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها . ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل ، يذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل . وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً . فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) (١) .

وبنحو هذا من مثابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء للفناء ، ولا للهلاك وهما من الآخرة لامن الدنيا

والخوار الميّن لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن اللوت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسما الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سما إلى سما مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السبعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات وما في الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى وما في قمرى البحر ومنبت كل شجرة وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به ، فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (١) .

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) (٢) ونحو هذا من متشابه القرآن . فقل إنما يعنى بذلك العلم أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان . والله عز وجل عرش والعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد . والله عز وجل مبيع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، ولا يسهو . قريب لا يففل ويتسكّم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ، ويحب ويكره ويغضب ، ويرضى ويفض ويخط ويخطو ويغفر ويعفو ويغنى ويعطي ويمنع .

(١) سورة في آية ١٦ .

(٢) سورة المجادلة آية ٧ .

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وليس كمثل شيء وهو السميع البصير ،
 وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعها ما أراد ،
 وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ، ويضع
 مقدمه في النار فتزوى ويخرج قوماً من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة
 يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم ، وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم
 بنفسه ولا يلي ذلك غيره عز وجل .

والقرآن كلام الله الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو
 جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث
 من القول الأول ؛ ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو
 جهمي ، وكلام الله موسى تكليماً منه إليه ، وناوله التوراة من يده
 إلى يده .

ولم يزل الله عز وجل متكلاماً ، والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها
 في منامه ما ليس ضغناً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها
 الصحيح ، ولم يحرف بالرؤيا تأويلها حيث ذبح وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً
 فأى جاهل ممن يظن في الرؤيا يزعم أنها ليست بشيء ؟

وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقد روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال : « إن
 الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم والكف
 عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم .

فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم أو نقصه أو
 حطن عليه أو عرض بعيثهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف
 لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والافتداء بهم وسيلة والاخذ بآثارهم فضيلة

وخير الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ، ولا أن يطعن على واحد منهم بميب ولا نقص . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع .

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن حبهم إيمان وبقضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية ، وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة .

ومن حرم للكاسب والتجاراات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف ، بل للكاسب من وجوها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله ، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة واللتامين بالآثار ، ولا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، إلى أن قال : فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والآثر ، وأصحاب الروايات وحملة العلم ، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه .

قلت : حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق ، وله عنهما مسائل جلية ، وأخذت
عن سميذ بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى . وهذه الطبقة وقد حكى هذه
للذاهب عنهم واتفاقهم عليها ، ومن تأمل للنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من
أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا
الكتاب مراراً ، وقد جمعت منه فى مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه
على عرشه وحدها سرفاً متوسطاً ، فهذا مذهب للمستحقين لهذه البشرى قولاً
وعملاً واعتقاداً . وبالله التوفيق .

فصل

ونحتم الكتاب بما ابتدأنا به أولاً وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من
تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (١) .

قال حجاج عن ابن جريج أخبرنى أن قوله : دعواهم فيها سبحانك اللهم . قال :
إذا مر بهم الطير ليشتبهونه ، قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك
بما اشتهاوا فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) ،
قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله
رب العالمين) .

قال سميذ عن قتادة قوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم) يقول : ذلك
دعواهم فيها ، وتحيتهم فيها سلام .

وقال الأشعري : سمعت سفيان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم ، فيأتهم مادعوا به . ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتمظيمه وإجلاله عما لا يليق به .

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، فقال : تنزيه الله عن الشؤ . »

وسأل ابن السكواء علياً عنها فقال : كلمة رضيها الله تعالى لنفسه .

وقال حنص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء » فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عند ما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين . ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة .

وفي الحديث « أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين » . فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة ، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس .

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها ، وفي لفظة « اللهم » إشارة إلى صريح الدعاء ، فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء ، وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به ، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء ، وليس (٢٧ - حادي الأرواح)

في الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح
وآخره الحمد .

وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص
الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء ، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية ، فهو
لا يليق بحالهم . والله تعالى أعلم بالصواب .

فهرس كتاب حادى الأرواح

الصفحة	الموضوع
	ج مقدمة بقلم الشيخ على صبح المدنى
٣	خطبة الكتاب
٦	فصل ولما علم الموفقون ما خلقوا له إلى آخره
٧	شعر في وصف الجنة
٩	فصل وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه الخ
١١	الباب الأول في بيان وجود الجنة
٢٢	» الثاني في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم هل هي جنة الخلد أم جنة أخرى
٢٦	» الثالث في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد
٣٢	» الرابع في سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد
٣٨	» الخامس في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول
٤٢	» السادس في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم
٤٥ ✓	» السابع في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد
٤٧	» الثامن في الجواب عما احتجبت به هذه الطائفة
٥١	» التاسع في ذكر عدد أبواب الجنة
٥٨	» العاشر في ذكر سعة أبوابها
٦١	» الحادى عشر في صفة أبوابها وأنها ذات خلق
٦٢	فصل ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض الخ
٦٤	الباب الثاني عشر في ذكر مسافة ما بين الباب والباب
٦٥ ✓	» الثالث عشر في مكان الجنة وأين هي ؟
٦٨	» الرابع عشر في مفتاح الجنة

الصفحة	الموضوع
٧٠	الباب الخامس عشر في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت عند دخولها .
٧٢	فصل وأما المنشور الثاني
٧٤	الباب السادس عشر في توحيد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد
٧٧	» السابع عشر في درجات الجنة
٨١	» الثامن عشر في ذكر أعلا درجاتها واسم تلك الدرجة
٨٤	» التاسع عشر في عرض الرب تعالى سامته الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم الفخ
٨٧	فصل وهما أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى للفخ .
٨٩	الباب العشرون في طاب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم الفخ
٩٤	» الحادى والعشرون في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها الفخ
١٠٢	» الثانى والعشرون في عدد الجنات وأنها نوعان
١٠٦	» الثالث والعشرون في خلق الرب تبارك وتعالى بمض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان
١٠٩ ✓	» الرابع والعشرون في ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم
١١٠	» الخامس والعشرون في ذكر أول من يقرع باب الجنة
١١٢	» السادس والعشرون في ذكر أول الأمام دخولها الجنة
١١٤	» السابع والعشرون في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم
١١٧	» الثامن والعشرون في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة
١١٩	» التاسع والعشرون في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمت لهم دون غيرهم
١٢٣	» الثلاثون في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم
١٢٥	» الحادى والثلاثون في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار

١٢٩ الباب الثانى والثلاثون فى من يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب

وذكر أوصافهم

١٣٢ » الثالث والثلاثون فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

١٣٦ » الرابع والثلاثون فى ذكر تربة الجنة وطيلتها وحصبائها وبنائها

١٤٠ » الخامس والثلاثون فى ذكر نورها وبياضها

١٤٢ » السادس والثلاثون فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

١٤٦ » السابع والثلاثون فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومسكنهم إذا دخلوا الجنة

١٤٨ » الثامن والثلاثون فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها .

١٥٢ » التاسع والثلاثون فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم

وعرضهم ومقدار أسنانهم

١٥٥ » الأربعون فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم

١٥٨ » الحادى والأربعون فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

١٦٠ » الثانى والأربعون فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يمشى

١٦٣ » الثالث والأربعون فى ذكر الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها

١٦٥ » الرابع والأربعون فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

١٦٦ فصل وأما الطالع فأكثر المنصرين قالوا إنه شجرة الموز

١٧١ الباب الخامس والأربعون فى ثمارها وتمداد أنواعها وصفاتها وريحانها

٧٧١ » السادس والأربعون فى زرع الجنة

١٧٨ » السابع والأربعون فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها

الذى تجرى عليه

١٨٠ فصل وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها

١٨٤ » فصل وأما العيون

١٨٧ الباب الثامن والأربعون فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفهم

١٩٢ » التاسع والأربعون فى ذكر آتيتهم التى يأكلون فيها ويشربون

وأجناسها وصفاتها

الموضوع

المنحة

- ١٩٧ الباب الخمسون في ذكر لباسها وحليها ومناديلها إلخ
- ٢٠٤ فصل ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم
- ٢٠٥ » وأما الفرش
- ٢٠٧ » وأما البسط والزرابي
- ٢٠٧ » وأما الرفوف - وأما العبقري
- ٢١٠ الباب الحادي والخمسون في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم إلخ
- ٢١٢ فصل وأما الأرائك
- ٢١٤ الباب الثاني والخمسون في ذكر خدمهم وغلماهم
- ٢١٧ » الثالث والخمسون في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن إلخ
- ٢٢٠ فصل وقوله تعالى (وزوجناهم بحور عين) .
- ٢٢٣ » وقوله تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام)
- ٢٢٤ » وقوله تعالى (فيهن خيرات حسان)
- ٢٢٥ » وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) .
- ٢٢٨ » روى البخاري في صحيحه « لندوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا » إلخ
- ٢٣٢ » والاحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين إلخ
- ٢٣٣ الباب الرابع والخمسون في ذكر المادة التي خلق منها الحور المين وما ذكر فيها من الآثار إلخ
- ٢٣٨ » الخامس والخمسون في ذكر نكاح أهل الجنة إلخ
- ٢٤٢ » السادس والخمسون في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا ؟
- ٢٥٠ » السابع والخمسون في ذكر سماع الجنة وغناء الحور المين وما فيه من الطرب واللذة

- ٢٥٣ فصل ولهم سماع أعلام من هذا
- ٢٥٥ » » » » » يضمحل دونه كل سماع
- ٢٥٦ الباب الثامن والخمسون في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم
- ٢٥٩ » التاسع والخمسون في زيارة أهل الجنة بعضهم بمضا وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا
- ٢٦٣ فصل ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل
- ٢٦٤ الباب الستون في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها
- ٢٦٧ » الحادى والستون في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى
- ٢٧١ » الثانى والستون في ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم في الجنة
- ٢٧٢ فصل وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سببا للرحمة والحياة في هذه الدار النخ
- ٢٧٤ الباب الثالث والستون في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها
- ٢٧٨ » الرابع والستون في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال
- ٢٨٥ » الخامس والستون في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة وبيان الأدلة
- ٢٩٦ وأما الأحاديث الدالة على الرؤية فمتواترة وبيانها
- ٢٩٧ فصل وهاك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم في الرؤية
- ٣٣٠ » وأما التابعون أى وقولهم في الرؤية النخ
- ٣٣٥ » في المنقول عن الأئمة الأربعة النخ
- ٣٤١ » في وعيد منكرى الرؤية
- ٣٤٣ الباب السادس والستون في تسليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم إياهم وسلامه عليهم
- ٣٤٥ » السابع والستون في أبدية الجنة وأنها لا تنفى ولا تنبذ وفيه فصول
- ٣٤٨ فصل وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال النخ

- ٣٥٢ فصل وأما أبدية النار ودوامها
- ٣٦١ » والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق وبيانها
- ٣٦٥ » ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا الفخ
- ٣٨٩ الباب الثامن والستون في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها
- ٣٩٣ » التاسع والستون وهو باب جامع فيه فصول مشورة
- ٣٩٣ فصل في لسان أهل الجنة
- ٣٩٣ » في احتجاج الجنة والنار
- ٣٩٤ » في أن الجنة يبقى فيها فضل
- ٣٩٥ » في امتناع النوم على أهل الجنة
- ٣٩٥ » في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها
- ٣٩٥ » في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله
- ٣٩٦ » في أن الجنة تتكلم
- ٣٩٩ » في أن الجنة تزداد حسنا على الدوام
- ٤٠٠ » في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن
- ٤٠٠ » في ذبح الموت بين الجنة والنار
- ٤٠٤ » في ارتفاع العبادات في الجنة الفخ
- ٤٠٤ » في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا
- ٤٠٦ الباب السبعون في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره
- ٤١٦ فصل ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا الفخ

٧٨
مطبعة المدنى
٦٨ شارع العباسية — القاهرة